obeikandl.com

بئر الأرواح

الكتاب : بئر الأرواح

المؤلف : نهى مجدى

تصميم الغلاف : أسامه علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامه

رقم الإيداع : 2015/11224

الترقيم الدولي : 978-977-778-034-6

الطبعة الأولى :2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

بئر الأرواح

رواية لـ

نهى مجدي

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى من خفق له قلبى حين رآه ... إلى زوجى الحبيب " خالد"

إلى نصفى الثانى الذى أعشق ضمه ... إلى أمى العظيمه " أمال"

إلى طيف أستشعره ولا اراه ... إلى روح أبى الغالى "مجدى"

إلى قرة عينى وأملى المستقبلى ... إلى ابنى الحبيب " عمرو "

إلى كل من علمنى حرفًا ولا زلت أذكره وفى قلبى أشكره ..

إلى أساتذتى وقادتى ومعلمينى الأجلاء ..

إلى كل من بسط يدًا ورعى فكرة , أو أطلق شرارة إبداع ..

إلى القارئ المحترم .... آمل استحسانك ...

obeikandl.com

obeikandl.com

زى كل باب مقفول ما تعرفش وراه إيه .....

زى كل حاجه غريبة خايف تفهمها .....

زى كل إشاره خايف تفتح لك غرفه أسرار....

زى كل واحد عايش وفاكر ان حياته ماشيه بإرادته , لكن بيكتشف انه ماشى بإرادتها ....

الحكايه كلها انسان .....رافض يشوف الحقيقة ..

obeikandl.com

obeikandl.com

من أنا ؟؟

لم أعد أتذكر شيئًا ....

كل شيء بدا لى ساطعًا كلؤلؤة انعكس عليها ضوء النهار فزادها تألقًا وإبهارًا ...

النور أوشك أن يحرق مقلتَىَّ لكنى أحبه ....

المكان هنا واسع , جميل , مريح , يبعث فى قلبى اطمئنان عجيب كطفل عاد الى حضن أمه بعد الفراق ....

اشجار وارفه تحيط بى فى احتضانه صامتة , ونخل طويل يتدلى منه تمره الزاهي وكأن مطر الشتاء - الذى أحبه - قد غسله بأتقان ...

جداول المياه أسمع خريرها فتشنف أذناى وتطرب ...

طيور تحلق فى السماء يكاد ذيلها يمس شعرى دون خوف الاقتناص , ريشها أبيض ناصع كبياض الثلج , تعلو رؤوسها تيجان من الزمرد وتغرد كأعذب شادى ...

أطفال يضحكون ويلعبون وأسمع منهم قهقهة طفولية عذبة تمس قلبى فتسعده ..

فتيات افترشن الأرض وأخذن يهمسن لبعضهن فى دلال وكأن الحسن قد تجسد , عندما رآيتهن أيقنت عمى بصرى حين عشقت غيرهن ..

أصوات الطبيعة امتزجت لتعزف سيمفونية رائعه بلا أدوات ولا عازفين..

امضى انا فى طريقى ولا أعلم اين أذهب , ولكن قلبى كاد يمزق صدرى نشوة واستمتاعًا ..

أنا لا اعلم كيف أتيت إلى هنا ولكنى أتيقن أننى لا أريد الخروج منه ابدًا , أحببت كل شيء فيه منذ النظرة الأولى أحببت تغريد الطيور وغناء النساء الجميلات، أحببت هؤلاء الاطفال الذين يضحكن فى براءة , احببت شكل السماء الزرقاء الصافيه وشكل السحب الناعمة , أحببت شكل جداول المياه التى يسحرنى خريرها , أحببت نضاره العشب الاخضر وزهوره الآخاذة , أحببت وجودى بين هؤلاء القوم رغم عدم معرفتى بهم لكن في قربهم سلواى ...

بحثت بنظرى هنا وهناك لعلى أجد مؤنسًا , نعم أحب ذلك الهيام الذى أجده هنا ولكنى أريد جليسًا يشاطرنى أحلامى ..

حتى وجدت أفضل ما تمنيت ..

أخى " هشام "

عشقى الباقى رغم زوال صاحبه , أخى هشام يكبرنى بعامين وبرغم ذلك كنت أجده دائمًا ذلك الأب الحانى ذو الدموع القريبة , تلك اليد التى تضرب وتطيب , كان دائمًا مرشدى وقدوتى فى الحياة .

عندما تراه للوهلة الأولى تستشعر منه مهابة ورقى , شخصية تفرض احترامها على الجميع , ذلك الشارب الذى يتباهى به رشدى أباظة لا يزن شيئًا أمام شاربه المغطى بالوقار , هيئته تشبه كثيرًا تلك التى يظهر بها رجال الشرطة , تجده مبتسمًا دائمًا ينشر نكاته و يضفى روحه المرحة على الجميع , أنفه المعقوف أضاف لمظهره رفعة و ترفع .

تزوج أخى منذ عدة أعوام بحبيبته المنتظرة وأنجب ولدًا يشبهه كثيرًا حتى فى هيئته وضحكته الرنانة , كان يتمنى أن ينجب عشرة أطفال يملأ بهم منزلنا الفارغ ولكن القدر لم يُعْطِهِ الا " يوسف " وفاضت روحه لخالقه .

سيارة مسرعة سائقها مخمور أنهت ماتبقى له من أحلام , ذهب طيفه لما هو أفضل وتركنا نحن نعانى الفقدان .

تشبثتُ به كمن وجد قريبًا فى الغربة :

- هشام !!!

التفت إلىَّ اظنه لن يتذكرنى ولكنه كما هو وفيًا :

- وحشتنى يا شريف

- انت فين ياهشام طولت الغيبة

- الغيبة طويلة ع اللى قلبه خالى

- لسه زى ما إنت ما إتغيرتش ياهشام

- و مين قال انى هتغير

- طيب قولى احنا فين

- فى الجنه بتاعتنا

- يعنى انا كمان مت

- المفروض , بس عمر الشقى بقى

- تقصد ايه ؟

جذبنى هشام من يدى واشار إلى نقطه أسفل قدمينا لم اكن اراها , بل لم أكن مدرك أنى اقف على الهواء , وكأننى ملاك ينظر إلى الأرض من سماءه الواسعة وشرفته الكاشفة ..

- بص كدا يا شريف شايف ايه ؟؟

بدت لى النقطة بعيدة وصغيرة ولا أستطيع تبين ملامحها ولكنها بدأت تكبر وتظهر شيئًا فشيئًا

obeikandl.com

أمامي غرفة مغلقة تحوى سريرًا واحدًا وشخص نائم عليه لم أستطع فى البداية تبين ملامحه ولكن كان بجانبه شخص آخر يغطى أنفه بغطاء كالكمامة ويحمل فى يده أداه لا أراها جيدًا وبجانبه بعض الأجهزة الكهربائية ذات الأصوات المزعجة وسيدة تدخل وتغطى أنفها وتشاطره عمله .

اقتربت الغرفة أكثر حتى تبينتها ..

إنها غرفه عمليات كتلك الموجودة فى المستشفيات المقيتة , وهذا الرجل يبدو من هيئته انه الطبيب ويجرى عمليه جراحية لأحد الأشخاص وبجانبه ممرضة تناوله الأدوات وصمت مطبق فى الغرفة لا يقطعه إلا صفير الآلات ورنين الأدوات المعدنية التى تمزق الصدور وتشق الأنسجة ..

فاقتربت أكثر لأرى من ذاك المسكين الراقد غائب عن الوعى , نظرت إليه وفى قلبى شفقة من حالَهُ الراثى , هل يتألم فى عالمه الغامض أم أفقدته تلك العقاقير قدرته على الإحساس ؟ ..

وبينما انا أمهد نفسى لرؤية ذاك الحاضر الغائب , شعرت بصدمة زلزلتنى ...

ماهذا ؟؟؟؟؟

إنه أنا ؟؟؟؟

أنا ؟؟؟؟

أنا ذلك النائم على السرير وأنا الذى تجرى له العملية فكيف هذا ؟ كيف أرى نفسى ؟ , كيف لا أشعر بجسدى , كيف أكون مغمضًا وأرى من حولى ؟؟

نظرت لهشام فى تساؤل يجتاح جنباتى , فابتسم فى إشفاق :

- ما تخافش يا شريف مش مكتوبلك تآنسنى دلوقتى

- أنا ازاى شايف كل دا يا شريف هوا أنا فى حلم ؟

- هتفهم كل حاجة فى وقتها

نظرت للأسفل مرة أخرى لعلى أجد ما يُشْبِعُ ظمئي , ولكن هالنى مارأيت ..

رأيت جهاز مراقبة النبض الذى علَّقُوه فى ذراعى أطلق صفيرًا كأنه صفير إنذار والطبيب يرتبك ويسقط مافى يده وينادى بجزع ..

- جهاز الصدمات بسرعه المريض بيموت

- بموت ؟؟ دارت فى عقلى مرارًا

ركضت الممرضة لتحضر له طلبه لعله يفيد جسدًا من الموت قد دنا ، ومن فرط فزعها سقط منها قِرطُهَا دون أن تشعر ، انتزع الطبيب منها الجهاز وركض به نحوى وسمعته يصرخ ..

obeikandi.com

- ابعدوا

وأطلق شحنه كهربائية أثنت ظهري بقوة ، ولكنى لم اشعر بألم , وبائت محاولته بالفشل و مازال الصفير مستمرًا ..

فسمعته يصرخ مرة أخري ..

- علّى الفولت علي ٢٢٠

وأعاد المحاولة مرة أخرى حتي ظهر ذاك التموج الذي كنت أراه في الأفلام المؤثرة ولكني حقيقة لم أكن أتأثر ولا حتي اليوم ، لا أبالي بما يحدث وكأن أحدًا غيري يعاني , ورأيت ذلك الإرتياح على وجه الطبيب..

حينها وجدت هشام يدفعنى قائلًا :

- ميعاد رجوعك , سلملى ع العايشين

- طيب ياهشام مش هشوفك تانى

أجاب هشام وهو يبتعد أو أننى أنا الذى كنت أبتعد :

- من النهارده حياتك اتغيرت يا شريف

- طيب ياهشام استنى أ.....

obeikandl.com

لم أكمل جملتى حين شعرت بأحد ينتزعنى من جنتي الموءُدة ويلقي بي أرضًا, لم أشعر أين ذهبت ولكني شعرت باصطدام وألم اجتاح كيانى كله دفعة واحدة وكأن جسدي أعد العذاب لروحي التي تمنت فراقه ..

ظللت اصرخ :

- هشام !! هشام !! هشام !!!

حتي أدركت أنى مغمض العينين فحاولت أن أفتحهما لعلى أجد ما يرأُبُ صدعى لكنهم كانوا ثقالًا كأطنان الرمال ..

فتحت عينى تدريجيًا وبأقصي ما استطعت لأجدنى فى غرفة صماء نائم على سرير واهى , أشعر بسكينٍ انغرس فى رأسى وشلَّ أطرافى , أرى سيدة تقف أمامي مترقبة أشعر أني أعرفها ، رأيتها من قبل , نعم رأيتها عندما كانت بجانبى فى غرفه العمليات , تلك الممرضة التى كانت تسعفنى ..

حينما هممت بالكلام ورفع ذراعى شعرت بألم مضاعف أبقانى فى مكانى وأعجزنى عن الحركة ..

فتأوهت :

- اااااااااااااه ، دماغي ، دماغى هتنفجر

ردت الممرضة فى لطف ..

- معلش الحمد لله انها جت لحد كده

نظرت لها وأكاد لا أرى , وقلت متألمًا :

- أنا شفتك

فانتبهت أكثر ونظرت إليَّ متسائلة :

- شفتنى فين

أجبت بوهن :

- شفتك ...

ولم أستطع الإكمال فإذا بغشاوة تَسْدِلُ ستارها على عقلى المتألم ..

فربتت على كتفى بشفقة ..

- ما تتكلمش دلوقتى انت لسه تحت تأثير البنج بس لما تفوق هتبقى كويس .

قالتها وهى تغادر بعد ما أحقنتنى بمسكن خفف عنى الألم قدرًا ضئيلًا..

وظللت أنا أتألم وأتمنى العودة حيث اللا ألم ...

****

obeikandi.com

الساعه تكاد تكون العاشره صباحًا او أكثر قليلًا ..

أشعه الشمس تملأ المكان ..

أشعر أن ألمى بدء فى السكون رويدًا , وأتذكر ذلك الحلم الذى رأيته وكأنه قد حدث الآن ..

الممرضة الحسناء تقف أمام النافذة وتفتحها ببطء لتُدْخِلَ نسمات الهواء العليل وأشعة الشمس الذهبية لعلها تعطى جسدى الواهن بعض الصحة , أرقد فى غرفة صغيرة على سرير متهالك من أسرة المستشفيات ذوات المراتب الجلدية والدعائم الحديدية , وحدى فى تلك الغرفة لا أحد بجانبى ولا شىء أكثرمن خزانة الأدوية المكتنزة والستائر الملوثة بآآآهات السابقين ..

قالت مبتسمة بعدما لاحظت استيقاظى :

- صباح الخير أستاذ شريف عامل ايه دلوقتى ؟

اجبت بصوت واهن :

- أحسن

فاقتربت منى تتحسس نبضى ومازالت ترسم تلك الإبتسامة :

- تعبتنا أوى وسيّبت أعصابنا

لا أدرى لم تذكرت ذلك االجزء من الحلم الذى يخص قرطها الذى سقط على سهوة منها , فوجدتنى بلا إراداه أنظر إلى أذنها , لا أعلم هل أتيقن بأنى رأيتها أم أريد التيقن ..

نظرت إليها فوجدت ما أفزعنى لكنه اسعدنى , وجدت اذنًا بها قرطها وأخرى خاوية ..

نظرت ناحية النافذه مرتبكًا لا أفهم شيئًا ولا اعلم هل كنت يقظًا أثناء العملية أم لعلّى رأيتها من ذاك المكان البعيد , كيف أعلم بأمرها , وتذكرت هشام الذى أُقْسِمُ أنى رأيته وتحدثت معه بل أنى رأيت العملية بأكملها ولكن لا أعلم كيف ..

كانت الممرضة قد انتهت من تحسس نبضى وإعطائى الدواء حين رأتنى مضطربًا

فتسائلت فى قلق :

- مالك يا أستاذ شريف , فيه حاجة بتوجعك

أجبتها وأنا أنظر لها نظرة ترقب ولهفة :

- فين فردة الحلق التانية ؟

سئلتها ذلك السؤال ولا أدرى لماذا , هل أتمنى أن أسمع مايرضينى أم أتمنى أن يكون حلمًا لا معنى له ..

تعجبت كثيرًا فى البداية من سؤالى المباغت ثم تحسست أذنها بيدها فى حركة عفوية :

- ضاعت منى بس مش فاكرة فين , بس غريبة انك تاخد بالك منها !!

لم أعرف بم أجيب وكيف أبرر , هل أُخْبِرَهَا الحقيقة أم أستبقيها لنفسى ؟

- لفت انتباهى انك لابسة فردة واحدة

أومأت برأسها تفهمًا , ولكنى مازلت فى قرارة نفسى أؤمن أن هذه ليست الحقيقة وإنما خَشِيَت أن تقص لى ماحدث من اقتراب موتى حتى لا أضطرب وتسوء حالتى ..

أو أن هذا ماحدث معها فعلًا وأنا اتوهم ما رأيت وأريد إقناع نفسى به ..

لا أدرى لا أدرى أفكارًا متلاحقة تركض خلف بعضها ك كلب يركض خلف لص لعين ..

ماذا حدث وماذا رأيت , هل هو حلم أم حقيقة ..

هممت أن أسألها مره أخرى ولكنى خشيت ردة فعلها وريبتها فى أمرى ..

انتزعتنى من شرودى حين سألتنى :

- قولى يا أستاذ شريف ايه حكاية أنا شفتك اللى قلتهالى امبارح دى ؟

تظاهرت بالنسيان :

- مش فاكر

ابتسمت :

- عمومًا انت كنت بتفوق من التخدير وانت عارف بقى خترفة الفوقان بتطلع المخزون كله

قالتها وضحكت للتخفيف عنى:

- مش محتاج أى حاجة أعملهالك

- لأ شكرًا

قالتها وهى مندفعة نحو الباب تهم بالخروج ولكنها وقفت واستدارت لى قائلة

- على فكرة مراتك كانت هتموّت نفسها عليك وانت فى العملية , شكلها بتحبك أوى وأصحابك كمان سألوا عليك وما رضيوش يروحوا غير لما حلفنالهم انك بخير , وطبعًا والدتك كانت أشد من الكل ربنا يخليهالك..

أجبت عليها بابتسامة تائهة وأنا أعتصر ذهنى اعتصارًا هل ما رأيت حقيقة

أم تأثير بنج ردئ أطاح بتلابيب عقلى , لا أدرى ...

***

طرقات على باب الغرفة ..

سكينًا غُرِسَت في رأسي فشقته نصفين ..

نظرت للباب بعين زائغة وبصر لا يبصر..

- ادخل

فتحت زوجتي الباب بابتسامة مشرقة وبوكيه ورد تحمله بين يديها زادها رقة ، وهمست في عزوبة :

- حمدا لله على سلامتك

زوجتى " نهلة "

زوجة رائعة بما تحمله الكلمة من معنى نظريًا , وعندما أقول نظريًا فهذا لا يسىء إليها ولكنى أنا الذى أخفق فى حبها عمليًا , تعمل فى إحدى شركات البورصة كأولئك الجالسون أمام شاشات عرض تداول الأسهم , تارة يرتفع فتسمع الضحكات والتهانى وأخرى يسقط فيطيح آمال رواد ذلك المكان المنافق , تذهب لعملها صباحًا وهى تدعو الله أن يديم لها هذه الوظيفة يومًا آخر , زواج تقليدى , رشحتها لى إحدى

الاقارب عندما رأتها فى زفاف صديقى , جميلة وشيك وبتشتغل ليه التأخير؟

الارتباط جاء سريعًا حتى أنى لم أكلف نفسى عبء السؤال عنها ووافقت إرضاءً لرغبة أمى فى تزويجى واكتفيت بما سمعته منها أثناء جلسات الإصغاء المقرره لكل من يتقدم لخطبة فتاة وغالبًا ماتكون نصفها ادعاءات لا محل لها من الإعراب , إنسانه ناجحة , جميلة ذات ملامح رقيقة , أنيقة فى ملابسها , رشيقة فى مشيتها , زادها جمالًا ذلك الشعر الطويل والعينين البنية والأنف الدقيق , وجهها الدائرى وبشرتها البيضاء تخطف الأبصار , شفتاها تنطق الكلمات فى عذوبة وأسنانها المرصوصة كسد منيع تخفى وراءها ابتسامة ساحرة .

أحبها ؟؟؟

لا أدرى إن كنت أحبها أم اعتدت وجودها فى حياتى ..

كثيرون هم من اتهمونى بالغباء ونُكران النعمة لعدم قدرتى على محبتها , ولكن منذ متى كان للقلب سلطان .

اقتربت مِنى وأعطتنى باقة الورد :

- أنا كنت هموت من القلق عليك

أجبت بشرود:

- ما تقلقيش أنا أحسن دلوقتى

opelkanal.com

- الدكتور بيقول انك تعبت شوية امبارح فى العملية مع إنها حاجة مش خطيرة , دى مجرد عينة خدها يحللها علشان يعرف سبب صداعك المستمر وعدم تركيزك دا من ايه .

سلتها باهتمام :

- تعبت ازاى يعنى ؟؟؟

أجابت بتردد وكأنها تحاول إخفاء شىء :

- ما تشغلش بالك المهم انك بخير

قالتها وطبعت قبلة على خدى..

- دى ماما كانت هتتجنن عليك وفضلت معانا امبارح لحد ماخرجت وبقيت كويس وكانت عاوزة تبات معاك هنا ، لولا ان الدكتور طمننا وخلانا نروح ..

نظرت إليها متسائلًا :

- أنا هروَّح امتى ؟

الدكتور قال انه هيبص عليك ولو لقاك كويس وحالتك مستقرة هنروح نكمل علاج فى البيت ..

- ماشى , قلتها فأغلقت الحوار

obeikandl.com

لم تجد نهلة مدخلًا آخر للحديث فهمت بالذهاب :

- طيب أنا هروح أكمل أجراءات الخروج وهرجعلك , على فكره انت وحشتنى أوى

قالتها وهى تخرج من الغرفة مغلقة الباب خلفها ...

استرخيت أكثر في سريرى وأغمضت عينى لعلى أستعيد حلمي واتبينه أكثر ..

رُحْتُ فى سُبَاتٍ عميق , رأيت حلمًا أخر وكأنى سأنهى ماتبقى من عمرى تائه فى هواجس الاحلام

رأيت زوجتى نهلة تقف مع إحدى الممرضات , وقدمت لها الممرضة ورقة لا أدرى ما فيها , وها هى زوجتى تعبر الممر الطويل باتجاه غرفتى , أسمع نقرات حذائها ولا أدرى هل حلمًا أم واقع ..

هل ستأتى وترانى ؟؟

ناديتها بأعلى صوتى ولكنه لم يغادر حنجرتى ..

- انت نمت ولا أيه يا شريف ؟؟

صحوت مفزوعًا على صوت نهلة وهى تهز كتفى ..

- اسفه ياحبيبى خضيتك

- لأ ولايهمك

- أنا افتكرتك مصدع فغمضت عينك , ما أعرفش انك نايم

- أنا فعلًا غمضت عينى من الصداع بس شكلى نمت , انتى خلصتى الإجراءات؟؟

- اه تمام كدا وأخدت كمان ورقة بتعليمات الدكتور علشان نمشى عليها فى البيت

- ورقة ؟؟ هكذا صحت مذعورًا لدرجة أفزعتها وجعلتها ترتد خطوة للخلف بعدما كانت بقربى تلملم أغراضى .

- مالك يا شريف انت اتخضيت كدا ليه؟؟

- مين اللى اداكى الورقة دى ؟ تسائلت مترقبًا إجابة تصدمنى وقد كانت.

- الممرضة اللى فى اخر الكوريدور , مالك يا شريف فيه ايه انت بدأت تخوفنى عليك .

قالتها وهى تنظر لى بدهشة وتساؤل ..

أما أنا فقد وضعت يدى على رأسى أحاول منع الفوران الذى كاد أن يدمر خلايا مخى المتبقية ..

- لو تعبان ياحبيبى خلينا نقعد يومين كمان

- لأ مش تعبان ولا حاجة أنا عاوز امشى من هنا

قلتها بنبره توحى برغبتى فى الذهاب فورًا , وقد انصاعت زوجتى لها واستكملت لملمة أغراضى ووضعها فى حقيبة ..

انتهت نهلة من الإجراءات والأغراض ونادت على العامل فجاء وأخذ الحقيبة وساعدتنى فى ارتداء ملابسى وجلسنا معًا فى السيارة فى طريقنا للمنزل .

- على فكرة يا شريف , الشركة فيها شوية مشاكل كدا بسبب غيابك والناس مش عارفه تمشى الشغل ازاى

أجبتها دون النظر اليها وأنا مازلت ممسكًا برأسى التى اجتاها الصداع ولعب بها لعبًا ..

- مش وقته يا نهلة أنا مش قادر حتى افتح عينى

- اوك ياحبيبى

- معلش يا نهلة عاوز أقعد يومين كدا عند ماما

- طنط ؟؟؟ يعنى مش عاوز تروح معايا

أجبتها بلا مبالاة :

- حاسس انى هبقى مرتاح أكتر هناك وكمان أنا عارف انها تعبانة بسببى فعاوز أطمنها عليا

obeikandl.com

نظرت لى نهلة بحزن :

- هيا بس اللى تعبانة علشانك ؟ , عمومًا أوك يا شريف زى ماتحب

قالتها وهى تنظر للطريق وتضغط دواسه البنزين ليصبح 140 وتدير عجلة القيادة ناحية منزل أمى الحبيبة ...

***

" شريف حبيبى "

قالتها أمى عندما رأتنى أمام الباب , لم أشعر بنفسى الا وأنا أرتمى فى حضنها أملًا فى أن أسقط فيه كل آلامى ..

نظرت إلىَّ والدموع تتساقط على وجنتيها ومازالت ممسكة بيدى تحتضنها فى لهفة وحب :

- الحمد لله انى شفتك بخير ياحبيبى دا أنا كان هيجرالى حاجة واشوفك واقف على رجليك

ابتسمت فى هدوء :

- ما تقلقيش يا ماما أنا بخير الحمد لله , ايه انتى مش هتقوليلى ادخل ؟

ردت مضطربة :

- ياحبيبى حقك عليا فرحتى بشوفتك نستنى كل حاجه , نهلة ازيك ياحبيبتى ,قالتها بعدما استدركت وجود نهلة

أجابت نهلة بفتور :

- الله يسلمك ياطنط , حضرتك عامله ايه دلوقتى

- بخير ياحبيبتى الحمد لله, بس انتى ليه ما قلتيش ان شريف خارج النهاردة كنت جيت معاكى نجيبه

ردت نهلة وهى لا تستطيع إخفاء تلك العصبية المسيطرة عليها :

- قلنا نعملهالك مفاجأة , حتى شريف أصر انه ييجى عند حضرتك وما يروحش بيته

نظرت لى أمى وقد تفمهت أننا على خلاف , فأدارت دفة الحديث :

- انتوا شكلكوا جعانين , ادخل ياحبيبى ارتاح فى أوضتك على ما أجهزلكم الغدا

اتكأت عليها ذاهبًا إلى غرفتى التى لم تتغير قط , سريرى المعبأ بالذكريات لطالما كان محل مناوشات بينى وبين أخى حتى بعد زواجه , كان يجلس بجانبى نستعيد ذكريات الطفولة وعراكنا الدائم من منا سينام على " الطرف " ومن سيأخذ النصيب الأكبر من الغطاء , مكتبى الذى شهد سنوات دراستى وصور " أميرة " المخبأه بين طيات الكتب , وذلك الهاتف الارضى الذى لم يكف يومًا عن الرنين وتبادل عبارات

الغزل والوله , كل شىء بقى فى مكانه لم يغيره الزمن حتى ملابسى البالية أبقيتها وكأنى أتوسل لذكراها أن تعود .

أرقدتنى أمى على سريرى و خلعت عنى حذائى وأسبلت الغطاء على جسدى الضعيف وطمأنتنى بصوتٍ حنون وهى تضع يدها على رأسى :

- إن شاء الله هتبقى زى الفل , بس على فكرة نهلة واخده على خاطرها وليها حق يا ابنى انت ما بتباتش على سريرك اللى هناك قد ما بتبات على سريرك اللى هنا , وعمومًا مش وقته الكلام دا أوضتك اهى زى ما هى وما حطِتش إيدى فيها زى ما بتطلب دايمًا

وأردفت بحزن :

- ياريت اللى فيك ييجى فيا يا ابنى

ابتسمت لها وأنا أقبل يدها:

- بعد الشر عليكى يا أم هشام هوا احنا لينا بركة غيرك

مسحت دمعة نزلت على خدها لا أدرى حزنًا علىّ أم على ذكرى هشام وقالت وهى تخفى دموعها وتتجه نحو الباب :

- هجهزلك الغدا على طول , انت محتاج غِذَا

كل هذا ونهلة فى مكانها لم تتحرك إلا عندما غادرت أمى غرفتى فجاءت إلىّ واقفة أمام الباب وهى تلوح لى بيدها :

- أنا همشى دلوقتى يا شريف ولو احتاجت حاجة إبقى كلمنى , أظن طنط هتقوم بالواجب على الآخر ومش هتحتاجنى فى حاجة ..... دا اذا كنت بتحتاجنى أصلًا .

استوقفتها :

- نهلة ؟

- نعم يا شريف عاوز حاجة ؟ , قالتها وهى تستدير لتواجهنى بعد أن أدارت رأسها وهمَّت بالذهاب

أجبت بهدوء :

- انتى رايحة فين ؟

ابتسمت بتهكم :

- مروحه شقتنا ولا انت ناسى ان لينا شقة

- لأ مش ناسى , بس ليه ما تقعديش معايا هنا كام يوم لحد ما أبقي كويس ونروح على البيت مع بعض

- لأ معلش أنا ما برتاحش غير فى بيتى وانت مش محتاجنى يا شريف

قالتها وغادرت دون حتى أن تدخل من الباب ..

سمعت أمى صوت انغلاق الباب فجاءت إلىَّ مستفسرة :

- هى نهلة مشيت ؟

- ايوه

- ليه كدا يا ابنى دا أنا قربت أخلص الأكل , طيب هى هترجع امتى ؟؟

- مش هترجع يا ماما , نهلة روحت

- روحت؟؟

تسائلت أمى وهى ترفع حاجبيها استنكارًا :

- وليه يا ابنى ما قعدتش هنا هو فى حد هيضايقها

- سيبيها على راحتها يا ماما

وأردفت بابتسامة وأنا أشير إلى سريرى :

- تعالى اقعدى جنبى , محتاج أتكلم معاكى أوى

هرعت أمى إلىَّ بنظرة خوف ولهفة :

- مالك ياحبيبى انت تعبان ولا ايه ؟

- لا ياحبيبتى أنا كويس بس انتى وحشتينى أوى

- وانت كمان يانور عينى , قالتها وهى تدس رأسى فى صدرها وحضنها الحانى

- مش أنا شوفت هشام

قلتها بغته لأرى رد فعلها ولأخرج ما خبأته ضلوعى لعلّى أجد إجابة تشفينى ..

- شفته ازاى يعنى ؟ قالتها أمى وهى مفزوعة وقد أبعدت رأسى عن صدرها واعتدلت فى جلستها ..

- شفته فى الحلم , قلتها بتردد وخوف عليها أن أقول لها شيئًا يخيفها أو تعتبره فألًا سيئًا وأزيد عليها المرض أضعافًا ..

- ردت قلقه : وحلمت بأيه ؟

اجبت عليها مبتسمًا بخبث :

- ما تخافيش يا أم هشام مش هموت

- بعد الشر عليك يا شريف ما تقولش الكلمة دى تانى , أنا قلبى معادش يستحمل يا ابنى , قالتها وهى تبتعد بنظرها عنى بعد أن خنقتها الدموع ..

- طيب خلاص حقك عليا , قلتها وأنا أربت على يدها وأقبلها فى هدوء

فنظرت إلىَّ مرة أخرى وتسائلت بحدة اقل وترقب واستعطاف :

- طيب قولى حلمت بأيه ؟

- والله يا ماما زى ما قلت ليكى , حلمت بيه بيقولى انى مش هموت وانى هبقى كويس وكدا

- فال خير , ردت أمى بارتياح وقامت لتكمل إعداد الغداء إلا انها وقفت أمام الباب وكأنها تذكرت شيئًا ..

- على فكره أمانى مرات اخوك الله يرحمه جاتلك كتير فى المستشفى بس كانوا مانعين عنك الزيارة , أنا هتصل بيها أطمنها انك قمت بالسلامة , والله يا ابنى كانت قلقانة عليك زيى ويمكن أكتر كمان ..

- هى أمانى ما جاتش من يوم وفاة هشام ؟

- لا يا ابنى إزاى دى بنت أصول , دى كانت بتجيلى كل أسبوع تشوفنى لو محتاجه حاجة بس من يوم ما إتنقلت فرع البنك اللى ف اسكندرية وهى بتيجى كل فترة كده على حسب ماوقتها يسمح .

- طيب ويوسف ؟

- يوسف , رددت أمى بصوت يكسوه الحزن

- يوسف دا اللى مقطَّع قلبى , اتيتم ياحبيبى قبل مايشبع من حضن ابوه

نَظَرَت الى السماء فى تفويض واستسلام :

- اللهم لا اعتراض على أمرك يارب

ثم نَظَرَت الى باكية :

- أمانه وخدها صاحبها

ثم أردفت بابتسامة تحاول فيها إخفاء دموعها :

- بس بيكلمنى كل يوم ويعرفنى أخباره أول بأول , والله مرات اخوك دى ست معدنها دهب وأصيلة وبنت أصول

- وبتبعتيلها الشهرية ولا لأ يا ماما ؟

نظرت أمى بتعجب :

- طبعًا يا ابنى بتاخدها كل أول شهر وانت بنفسك اللى بتبعتهالها

رددت باستنكار :

- أنا اللى ببعتهالها ؟؟؟!!

وضعت يدى على رأسى وكأن الصداع عاد يُدَمِّر خلايا مخى من جديد

فاقتربت منى أمى مندهشة :

- ايوه ياحبيبى انت نسيت ولا ايه ؟؟

- لايا ماما ما نسيتش بس عندى شوية صداع , أنا هنام لحد ما تخلصى الغدا .

obeikandl.com

- طيب ياحبيبى تصبح على خير

قالتها وهيا تسحب علىّ الغطاء وتطفئ النور وتتركنى أعانى فى صمت .

***

بحر .....

ميه زرقا , سمك فرحان , سما نورها واصل للميه , شمس شعاعها بيدفّى من بعيد وإنسان حر بيعوم زى أى سمكة حافظة طريقها فى الميه من غير علامات , معنديش خياشيم بس بتنفس تحت الميه , سايب جسمى حر من غير قيود ...

اتمنيت فى يوم أكون طائر هربان من الأسر ..

أكون حصان جامح معاه فارس نبيل ..

أكون إنسان عايش فى عالم مسحور ..

مدينه فاضلة أسوارها ورد , أبوابها دهب , سكانها ملايكة ..

مفيهاش حزن ولا وجع , مفيهاش ألم ولا مرض , مفيهاش حد ملعون ..

شفت نفسى غريق , بموت , بتخنق

ناس بتجرى ناحيتى جايه تنقذنى , قربوا منى لحد ماعرفتهم

ماما , نهلة , هشام , بابا , يوسف وناس تانية مش عارفهم

كلهم بيمدوا إيدهم ينقذونى لكن فجأه بدل ما يسحبونى لقيتهم بيغرقونى أكتر

كنت عاوز أصرخ استغيث لكن صوتى كان مخنوق , مكتوم , رافض يخرج

استيقظت من نومى أتنفس بصعوبة , آلام متفرقة المَّت بجسدى كله وبرغم ذلك نهضت من سريرى لعلّى أتنفس هواءً نقيًا يزيح ما بداخلى

ارتديت ملابسى وهممت بالخروج حين استوقفتنى أمى التى كانت تجلس بالردهة :

- شريف !؟ انت رايح فين ؟

- خارج شوية يا ماما أشم هوا

امسكت بذراعى تمنعنى من الخروج :

- تشم هوا ايه يا ابنى وانت لسه تعبان كدا , دا مبقالكش ساعتين خارج من المستشفى ولا حتى كلت لقمة من ساعة ما خرجت

قبَّلت يدها واتجهت ناحية الباب :

- معلش يا ماما مخنوق وعايز اتمشى شوية وبعدين خلاص الدنيا ليل والجو حلو يعنى مفيش شمس هتتعبنى وكمان أنا لابس أيس كاب أهو ومغطى الجرح خالص يعنى ما تقلقيش

- طيب يا ابنى لو مصمم تخرج كنت خدت مراتك وقعدتوا فى أى حتة مع بعض واهو تراضيها وتجبر خاطرها بدل ماهى زمانها قاعدة فى الشقة لوحدها لاحد يونسها ولا عيّل ياخد بحسها

ابتسمت بهدوء :

- معلش يا ماما سيبينى على راحتى وأنا يومين كدا وهرجع البيت ولا انتى زهقتى منى ؟

أجابت أمى باستسلام :

- وأنا هزهق منك بردو يا شريف , انت حر يا ابنى اعمل اللى يريحك بس اللى بتعمله مع مراتك دا ما يرضيش ربنا , أنا عارفه الحجج اللى بتقولهالها علشان تِبَات عندى ولا عند حد من أصحابك , ودى زوجة يا ابنى وليها حقوق و ملهاش غيرك ومراتك ست كويسة وما بتشتكيش بس أنا حاسه بيها .

اجبتها بعصبية واضحة :

- انتى عارفة كويس يا ماما أنا اتجوزت نهلة ليه , ولو كنتى مش فاكرة فأنا بفكرك أهو انى اتجوزتها علشان أخلص من إلحاحكم على جوازى يعنى من الآخر كده لا بحبها ولا بعتبر نفسى أصلًا انى اتجوزت وكويس أوى اننا لسه مكملين

أجابت أمى بنبرة صوت أعلى :

- حتى لو ما بتحبهاش بردو ما تظلمهاش ,الناس كل يوم بتتجوز مش لازم يعنى تحبو بعض سنين علشان تتجوزوا ,وبعدين مراتك فيها كل حاجة كويسة لكن انت اللى قافل قلبك ,تقدر تقولى إحساسك ايه لوهىَ عاملتك نفس المعاملة , لو كل يوم بتحاول تقرب وهىَ بتبعد , لو أهملتك وعاشت بجسمها معاك لكن قلبها مع واحد تانى

صرخت فيها لأول مرة بحياتى:

- كفاية بقى أنا زهقت من الكلمتين اللى بسمعهم كل يوم , مش عايز نصايح من حد

انصرفت مغلقًا الباب خلفى بقوة كادت أن تطيحه من مكانه متجهًا لذلك المقهى الذى أرتاده فى لحظات خنقتى الغير منتهية ....

مقهى " فيروز " المطلّ على النيل , صاحبه عم " سلامة " ذلك الرجل الذى ما زال محتفظًا بصورة الست أم كلثوم والرئيس عبد الناصر , رجل متهالك يستنفذ ما بقى له من ايام , دائمًا ما كانت الناس تتسائل عن سر صحته رغم كِبَر سنه وكان يجيبهم بتلك الجملة التقليدية " احنا ناس متربية ع السمن البلدى فى زمن كان كله خير مش زى زمانكم الفقر " , لايغادر المقهى أبدًا إلا عند سماعه صوت الأذان فيذهب للمسجد ليقضى الصلاة ويعود ليجلس أمام الخزنة حتى تدق الساعة الثانية عشر فيغلق أبواب مقهاه ويعود لمنزله يقضى ساعات الليل حتى يفتح أبوابه مرة أخرى فى الصباح , دائمًا ماتراه ممسكًا بسبحته ال 99 حبة , وأمامه فنجان القهوة التركى "بن غامق".

- ازيك ياعم سلامة

انتفض عم سلامة وجاء مسرعًا ويده ممدودة قبلها بربع ساعة

- استاااااااااااذ شريف , واحشنى يا ابنى والله , طمنّى عليك إزىّ صحتك

جلست على أقرب مقعد ونظرت للنيل :

- عايش ياعم سلامة

جذب عم سلامة مقعد آخر وجلس بجانبى مستمعًا :

- مالك يا ابنى شكلك حزين لما فايض عليك هو حصل حاجة لا قدر الله ؟

- ما حصلش ياعم سلامة بس مخنوق

- من ايه يا ابنى احكيلى

زفرت نفسًا طويلًا أخرجت معه شحنات سلبية غير منتهية :

- حاسس انى فى دوامة , حاجة غريبة مش فاهمها , بحلم بهشام اخويا كتير اليومين دول ... والله مانا عارف حلم ولا حقيقة

انتفض عم سلامة فى فزع :

- حقيقة ايه يا ابنى بعد الشر عنك , طولة العمر ليك , تلاقيه بس واحشك شوية علشان كدا بتحلم بيه

نظرت لعم سلامة متسائلًا :

- قولى ياعم سلامة , عمرك حلمت بحاجة واتحققت زى ماهى بالظبط كأنك كنت صاحى وشايفها

ضحك عم سلامة وهو يعود بالكرسى للوراء :

- يووووه , كتير يا ابنى , طيب تصدق إنى حلمت ان خالتك أم سلامة هتموت قبل وفاتها بأسبوعين , وكنت حاسس بكده وما قولتش , كنت بقول يمكن أضغاث أحلام بس طلعت حقيقة وغير كده كتير حلمت بحاجات واتحققت , يا ابنى الرؤية الصالحة دى جزء من النبوة

ابتسمت وأنا أربت على كتف عم سلامة :

- طيب انت ياعم سلامة راجل مؤمن لكن أنا من اللى بيركعوها لما يحسوا انهم هيموتوا

ضحك عم سلامة وربت على كتفى :

- ربك وحده يا ابنى اللى عالم بالمؤمن , استغفر انت بس وسيبها ع اللى خلقك ,

هقوم أعملك نعناع يروقك وأشغللك أغنية بصوت الست ينسيك اسمك

ابتسمت بتهكم :

- والله ياعم سلامة أنا ناسيه من غير حاجه

ضحك عم سلامة :

- طول عمرك دمك زى العسل

انصرف عم سلامة للسبرتاية التى يطلق عليه بوتاجاز وحضَّرَ كوب القهوة المحروق " إيهاب "

إيهاب , يشبه كثيرًا أحمد حلمى فى فيلم الناظر لكن النسخة المحروقة , لا يعلم لم ولد بهذا الكم من السمار , كنا أيام المدرسة نظن أنه فعل فعلة سوداء فى أحد الأشخاص فعاقبه الله بهذا الكم من السمار , صديق طفولة أو كما أدعوه دائمًا " لزق أمير " دخلنا معًا الإبتدائية والإعدادية والثانوية حتى وصلنا مرحلة الجامعة فافترقنا , دخل إيهاب كلية الآداب ليكون خليفة لأبيه الأستاذ منصور ويُكَوِّش على الدروس الخصوصية فى إمبابة وضواحيها واتجهت أنا لكلية التجارة هروبًا من السير على خطى والدى , تزوج بعد تخرجه بشهرين من " نيرمين " زميلة الجامعة , أنجب " عبد الرحمن " بعد زواجى بأسبوع لذلك نحتفل بذكرى زواجى مع عيد ميلاد عبد الرحمن توفيرًا للتورتة , يشبه كثيرًا عمود النور من حيث النحافة والطول , عندما يحتضنى أشعر أن

قفصه الصدرى هو من يقوم بهذه المهمة عنه , شعره أعلن الفراق وانتقل لرحمة الله تعالى , أنفه الطويل يحشره فى كل صغيرة وكبيرة , أسنانه الغليظة لا تكف عن اختراق سندوتشات الكبدة من حمادة تلوث , لسانه المفلطح لا يكف عن الثرثرة حتى أنه أوصانا بعدم دفن أحد بجانبه حتى لا يهج من المقبرة مِصَدَّع ويحلف طلاق تلاتة ما هيدخل تانى إلا لما يمشُّوا إيهاب من جنبه .

- شريف سيف الدين بذات نفسيته فى قهوة الغلابة ياجدعان , والله ادبح أرنب وأوزعه لله

احتضننى كالعادة بقفصه الصدرى حتى استمعت لسيمفونية عصافيره كاملة :

- ازيك يا إيهاب يابتاع الآداب

وضع يده على فمى وهو يجلس بجانبى كالعادة :

- بس ياعم اسكت أحسن يفتكروا انها حاجة كدا ولا كدا

أشار لعم سلامة بالتحية وهو يربت على بطنه الفارغة دائمًا فأرسل عم سلامة الواد محمود لشراء 10 ساندويتشات كبدة " يمسح بها إيهاب زوره

- قولى يا شريف عامل ايه دلوقتى , ما توقعتش انك تخرج بالسرعة دى

- وانت يا واطى كنت سألت

- ياعم وربنا المعبود جيتلك المستشفى وكنت حالف ما أمشى إلا وانت معايا لكن الدكتور قال لازم الكل يروَّح وانك فى العناية وكدا كدا محدش هيدخلَّك , بالأمارة اسأل نهلة وأمك

نظرت له باحتقار :

- اسمها أمك يابيئة

- خلاص ياعم الست الوالده , المهم انت عامل ايه؟

ابتسمت متحاملًا :

- كويس

نظر لى إيهاب بعدم تصديق :

- والله لأ كويس ولا حاجة , مالك يا شيرى

- والله يا إيهاب الدنيا ملخبطة معايا ع الاخر , الصداع ما بيفارقنيش , جسمى كله كأنه بيتعذب فى جهنم , كوابيس بشوفها وأنا صاحى ووأنا نايم , حاسس انى قربت اتجنن

شعرت بالحزن فى عيون إيهاب ولكنه حاول جاهدًا ألا يبديه :

- ايه ياعم جو أفلام نادية الجندى دا , ناقص تقول اتحدف عليا مية نار

ضحكت وكأنى كنت أنتظرها , أنتظر إحدى إفيهات إيهاب المشهورة لتخرجنى مما أنا فيه :

- عبد الرحمن عامل ايه ؟

- كويس ياعم وخلاص هنجوزه الأسبوع الجاى

ابتسمت فى تهكم :

- ومستعجل على نهاية الواد ليه

انفعل إيهاب كعادته ليس حبًا فى الجواز ولكنه يرانى ناكر فضل الله فى إعطائى زوجة مثل نهلة

- أهو انت كدا يا نائب عزرائيل يبقى معاك الشهد ونفسك تهف ع المش ابو دود

اعتدلت فى جلستى وأنا أنظر إليه بعصبية :

- تقصد ايه

نظر إيهاب جانبًا وهوا يشيح بيده :

- انت عارف كويس أقصد ايه مش هنضحك على بعض

obeikandi.com

ارتفعت نبره صوتى وزاد حدة :

- قلت لك مية مرة بطل تلقح كلام ولو فاكر ان الحيطة اللى بينى وبين نهلة سببها أميرة تبقى غلطان

ابتسم إيهاب بتهكم :

- ومين جاب سيره أميرة , شفت بقى ان انت اللى نفسك تتكلم عنها وماصدقت تلاقى حد ينكشك

ظهر الإرتباك على ملامحى حين لاحظه إيهاب فقال مُدَّعِيًا النصح :

- يا شريف الرجالة بيحبو مية مره وبينسوا ودا مش معناه ....

قاطعته بانفعال وصوت أصبح أعلى من سابقه :

- انت بالذات ما تدينيش حكم ومواعظ فى الحب والجواز , انت اللى فضلت تحب فيها طول الأربع سنين ومقضيها تسبيل ونحنحة جيت فى الأخر اتجوزتها وخلفت منها والحمد لله عايشين اخر انبساط يبقى ما تجيش انت بقى تدينى محاضرة ازاى ابقى سعيد مع واحدة ما بحبهاش , وحتى هشام اتجوز البنت اللى حبها وعاش معاها سعيد لآخر يوم من عمره فبلاش تمثيل بقى ودور مُرَشَّح الرئاسة اللى ماشيين فيه دا

خرجت كلماتى سخيفة حاقدة رغم أنها لم تكن ما أريد قوله وأعلم مدى رغبة إيهاب فى إسعادى ولكنى هكذا أنا دائمًا لا أفكر فيمن حولى

- أنا اسف يا إيهاب , والله العظيم ما أقصد أنا ...

ابتسم إيهاب بود :

- بس يا عبيط بتتأسف على ايه , عارف يا شريف أنا يمكن أكون اتجوزت نيرمين عن حب بس مين قالك انى عايش سعيد زى ما إنت فاهم , أنا كتير أوى بلعن اليوم اللى روحت اتقدمتلها فيه وأقول لنفسى أنا ليه ما خلتنيش مقضيها تسبيل ونحنحة زى ما بتقول ووقت الجواز شفت غيرها , وهشام فعلًا اتجوز اللى بيحبها بس اهو القدر استكتر عليه يعيش مبسوط وحرمه من الجنة اللى انت متخيل انه كان عايش فيها , يا شريف مش كل اللى بيلمع لولى ساعات بيبقي تِرتِر

انتابتنى نوبة ضحك هيستيرية كنت احتاجها بشدة:

- شكل الليلة كلها هتطلع تِرتِر , ربنا يسعدكم يا إيهاب والله العظيم أنا أتمنى لك الخير زى ما أتمناه لنفسى دا إنت أخويا يالا

ضربنى إيهاب على كتفى بيده التى تشبه عصا المكنسة :

- عارف ياض عارف انت هتعيط

- تصدق انى غلطان , قوم يالا من هنا

تناول العشر سندوتشات فى خمس قضمات بمعدل سندوتشين فى كل فتحه بوء واستطرد :

- قولى بقى بجد يا شريف فيه ايه بينك وبين نهلة , أميرة السبب ؟

رجعت بظهرى للوراء ونظرت للسماء لعلّى أجد الإجابة فى إحدى أحلام اليقظة التى التهمتنى مؤخرًا :

- والله يا إيهاب مش أميرة هىّ السبب الرئيسي , مش هنكر انى حبيتها لدرجه انى ما تخيلتش فى يوم انها ما تكونش مراتى , وكانت صدمة طبعًا بالنسبة لى إنها تتجوز , لكن كمان حاسس بغربة بينى وبين نهلة , يا ابنى دا أنا ما كلفتش خاطرى اسأل عليها ولا على أهلها زى ما الناس بتعمل وعلشان أخلص من زن أمى ع الجواز قولتلهم خلاص موافق واهى جوازة تفوت ومحدش يموت , ساعات بقول لنفسى أنا ليه وافقتهم , ليه ما روحتش لأميرة ومنعت الجوازة دى واتجوزتها أنا , بس لما ببص لخلقتك بكره الجواز كله

ضحك إيهاب وهو يرتشف اخر قطرات كوب الشاى :

- حبيبى يا شريف طول عمرك تموت فيا يا جدع

نهضت من مقعدى وناديت على محمود لأُحاسب على طلبات إيهاب كالعادة , حين اجتذبنى إيهاب لإكمال القعدة :

- رايح فين ياعم لسه بدرى , الليل لسه فى أوله

- معلش يا إيهاب هروح بقى لحسن متخانق مع أمى وهنقلق عليا

ضحك إيهاب مصدرًا صوت الضفدعة الحامل :

- انت لسه بتخاف من أمك ياض هع هع هع

ابتسمت لدعابته البايخة :

- أنا ماشى يا إبن الظريفة , سلام

_ سلام ياشيرى

***

هائمًا على وجهى أنظر إلى الطريق تارة وأعود لشرودى تارات , لا أدرى هل ما أنا فيه حجة أبتعد بها عن زوجتى أم أن قلبى اعتاد الهجر حتى أحبه , بعد ساعات من السير بلا هدف عدت مرة أخرى لمنزل امى , تعمدت ان أعود متأخرًا حتى لا أتحدث معها فلم يعد لدىَّ رغبة حتى فى إخراج الكلمات , ولكنى عندما عدت وجدتها كعادتها مستيقظة تنتظرنى بلهفة وقلق

دخلت وأغلقت الباب خلفى وجلست على أقرب مقعد لها :

- سلام عليكم

- عليكم السلام , عامل ايه شريف

- كويس الحمد لله , أنا أسف يا ماما إنى علّيت صوتى عليكى بس الظاهر انى فعلًا بقيت مريض مش مسئول عن كلامى

ربتت أمى على يدى فى حنان :

- بعد الشر عليك ياحبيبى أنا عارفه انك ما كنتش تقصد و أنا مش زعلانة والله , قولى بقي كلت ولا لأ

ابتسمت فى مرح :

- والله يا ماما الواد ابن المحروقة اللى اسمه إيهاب طفح السندوتشات كلها

قهقهت أمى لدعابتى وهى تربت على يدى :

- طيب ما تزعليش أنا هقوم أحضرلك الأكل

قبَّلت يدها فى ابتسامة :

- ما نتحرمش منك يا بطة

بعد ساعة كنت قد انتهيت من تناول الوجبة الوحيدة التى دخلت جوفى منذ أيام وعدت لسريرى وأحلامى المتخبطة من العالم الآخر

- أنا رجعت أوضه العمليات تانى ليه , هى العمليه فشلت ؟

التفتُّ حولى فوجدت ذلك الطبيب بنفس هيئته السابقة وحتى تلك الكمامة التى كانت تغطى وجهه

تسائلت بخوف :

obeikandi.com

- انت هتعملّى عملية تانى ليه ؟ أنا لسه فايق , انت هتعملِّى العملية وأنا فايق ؟

صرخت أرجوه أن يسمعنى :

- رد علىّ أنا جرالى ايه ؟

وجدت يده تمتد إلى فمى وكأنه نسى مكان جراحته فناديت عليه لعله يفيق :

- يادكتور العملية فى راسى انت نسيت ؟

وجدت الطبيب يزيح الكمامة عن وجهه ويبتسم

- هشام ؟؟؟

- ما تخافش يا شريف

اقتربت يده من فمى وهو يحمل أداة تشبه الملقط , فتح فمى و أنزلها فى حلقى وكأنها ستصل إلى معدتى , أخرجها وهى تحمل كتلة سوداء شكلها مقيت ورائحتها مقززة إذا نظرت إليها تشعر كأنك ستتقئ ..

نهضت جالسًا عندما أخرجها وسألته ..

- ايه دا ياهشام ؟ ايه اللى انت خرجته دا ؟ أنا ما بشتكيش ببطنى أنا دماغى اللى بتوجعنى

ابتسم هشام وانصرف حاملًا معه تلك الكتلة المقيتة وهو يرمقنى بشفقة :

- مش بإيدينا نغير المكتوب ولا نمنعه , لكن بإيدك توقفه

قالها ثم ولَّانى ظهره وانصرف وسط ندائى الصامت ..

استيقظت على صوت جرس الباب كانت الساعة الواحدة بعد الظهر , سمعت أمى تهلل بترحاب

- حبيب تيتا وحشتنى أوى

عرفت أن أمانى قد حضرت لتطمئن علىّ , لحظات ووجدت أمى تقرع الباب

- ادخلى يا ماما

ابتسمت أمى وهى تفتح الباب :

- أمانى جت يا شريف تتطَّمن عليك

نهضت بألم استعدادًا لدخلوها :

- تتفضل طبعًا مش محتاجة عزومة

انزاحت أمى جانبًا حتى ظهرت أمانى وهى ممسكة بيد يوسف ..

أمانى الجميلة الودودة العطوفة ملائكية الوجه , عذبة الصوت , طيبه القلب , عندما تراها للوهلة الأولى تستشعر منها أخوة وأمومة وكأنك تريد أن تقص لها ما يؤلمك لتجد عندها الدواء , بشرتها الخمرية وعيناها السوداوين أضفت عليها أصالة , جسدها النحيل ازداد وهنًا وضعفًا بعد وفاة أخى لطالما أرادت له أن يكون ملكًا متربعًا على عرش قلبها وأرادت لابنها أن يحيا بين والدين متحابين وأسره متكاملة لا تشوبها شائبة , إلا أن الحظ التعس أوجد هشام أمام سيارة مسرعة غير مبالية أنهت بدورها حياته وحياة زوجته وابنه اللذان لم يبق لهم الا الله , تبًا لهذه الحياة الكريهة التى لا يستوى لنا فيها أمر

- ألف سلامة عليك يا شريف ,. انتزعنى صوت أمانى من تفكيرى المؤلم

- الله يسلمك يا أمانى انتى عاملة ايه

- أهو زى ما أنا , قالتها وهى تزيح خصلات شعرها للوراء وتنظر إلى يوسف

- مش تسلم على عمو يا يوسف

قفز يوسف فوق من شدة فرحته :

- عمو حبيبى انت وحشتنى أوى

صرخت فيه أمانى :

- حاسب على عمو يا يوسف دا لسه تعبان

- اسف ياعمو

جَذَبْتَهُ نحوى وقبَّلته محاولًا استعاده فرحته :

- قولى أخبارك ايه والمدرسة عامله ايه معاك يابطل

أجاب يوسف بتذمر:

- كويسة بس أنا بحب مدرستى الأولانية وأصحابى وعاوز أرجع بيتنا بقى يا عمو

عنفته أمانى حتى يقطع حديثه :

- خلاص يا يوسف بقى سيب عمو يرتاح

قالتها بعصبية واضحة جعلت يوسف يذهب للجلوس مع جدته أمام التلفاز

دعوتها للجلوس محاولًا تقليل غضبها :

- ايه يا أمانى انتى هتفضلى واقفة ولا ايه , يعنى هبقى أنا مش قادر أقوم وانتى مش قادرة تقعدى

ابتسمت أمانى وجلست فى الكرسى المقابل لسريرى :

- خرجت من المستشفى امتى ؟

- والله يا أمانى لسه خارج امبارح , يادوب قعدت تانى يوم بعد العينة لحد ما الدكتور اتطمن عليا وخرجت على طول

- الدكتور بيقول انها حاجة بسيطة وما فتحش فى المخ غير يادوب مدخل الإبرة وخلاص علشان كدا خرجت على طول

- الحمد لله ربنا ستر

- و عامل ايه دلوقتى ودماغك عاملة ايه

ابتسمت وأنا أشير لرأسى :

- والله أنا كويس بس دماغى زى مانتى شايفة بقت بتلمع اكتر من طقم الصينى بتاع أمى اللى فى النيش

ضحكت أمانى حتى زالت عصبيتها فسألتها بشفقة :

- ليه بتعملى كدا مع يوسف يا أمانى الولد مقالش حاجة تستحق عصبيتك دى

ردت بحزن وهى تضم ذراعيها إلى صدرها :

- أنا مش عايزه الولد يفضل عايش فى سجن ذكرى أبوه , عايزاه يخرج من المود دا ويتعايش مع الواقع ويكوّن صداقات جديدة ويعرف ناس مختلفة, الولد منعزل عن الناس تمامًا يا شريف زى مايكون أبوه هيرجع تانى

obeikandi.com

ربتُّ على يدها محاولًا مآزرتها :

- معلش يا أمانى كله هيبقى كويس بس بالتدريج , وياريت تعملى نفس الشىء انتى كمان , انتى لسه صغيرة ومن حقك تبدأى حياة جديدة

نظرت لى أمانى بدهشة :

- انت اللى بتقول كدا

- ايوه يا أمانى وابقى إنسان أنانى لو سلبتك حقك فى الحياة

ادارت وجهها فى عصبية :

- أنا خلاص ما بقاش فيا قلب يتجوز ولا يحب ولا حتى يبدأ حياة جديدة , أصلًا مفيش حاجة اسمها حب كلها كدبة بنصدقها علشان عايزين نصدقها , أنا هعيش علشان أربى يوسف وبس

شعرت تجاه حديثها بغرابة لكنى أقنعت نفسى أنه حزنًا على أخى وقصة حبهم القتيلة ..

نهضت أمانى وأحضرت حقيبتها استعدادًا للذهاب :

- أنا مضطره أمشى بقى يادوب على ما أخلص من زحمة القاهرة وأوصل اسكندرية هنكون بقينا بالليل , خلى بالك من نفسك يا شريف وابقى طمنى عليك

قالتها وهى تمد يدها بالسلام وتولينى ظهرها وتخرج .

obeikandi.com

ودَّعَتها أمى وأحضرت لى الغداء وجلست بجانبى حتى أنتهى منه :

- مش عارف ليه يا ماما حاسس إن فيه حاجة مضايقة أمانى من ناحية هشام

- حاجة زى ايه يا ابنى دول كانوا بيحبوا بعض حب لاشفت قبله ولا هشوف بعده

- الله أعلم بس حكاية نقلها اسكندرية دى غريبة

- والله يا ابنى أنا كمان استغربت بس قولت يمكن مش قادرة تعيش فى الشقة اللى كانت قاعدة فيها مع هشام الله يرحمه واهو أهلها كمان فى اسكندرية هيونّسوها

- يمكن , انتى ما مسكتيش فيها تتغدى الأول ليه ؟

اجابت امى بذعر :

- والله يا ابنى مسكت فيها كتير واتحايلت عليها تقعد معانا النهاردة بس تاخد نفسها وتبقى ترجع بكرة بس ما رضيتش وصممت انها ترجع اسكندرية النهارده

- ربنا يسعدها أمانى تستاهل كل خير , قلتها وأنا أتناول الملعقة وأبدأ فى تناول طعامى وأفكر فى ما تخفيه أمانى عنا .

أنا لن أعودَ إليك مهما اسْتَرْحَمَتْ دقاتُ قلبى

أنتَ الذي بدأ الملالةَ والصُّدودَ وخانَ حُبّى

فإذا دعوتَ اليومَ قلبي للتصافي لا لن يُلبِّى

كنتَ لي أَيّامَ كانَ الحبُّ لي أملَ الدُّنيا ودُنيا أَملى

صوت السيدة أم كلثوم يملأ أرجاء الغرفة , عذوبته هى ما تُبقى قلبى حيًا , سنوات أستمع إليه ولا أمل , أجده ملازمًا لى عندما أكون عاشقًا أو جريحًا , ما أروع نغماته وقسماته .

قطع صوت أم كلثوم طرق أمى على الغرفة , فأوقفت الأغنية ودعوتها للدخول

- اتفضلى يا ماما

دخلت أمى بابتسامة :

- على صاحبك بره وعاوز يطمن عليك

- طيب يا ماما خليه يدخل

" على " صديقى من الجامعة تخرجنا معًا من كلية التجارة , كان أبى رحمه الله يملك شركة استيراد صغيرة تقوم باستيراد الأدوية من الخارج , وكان ينتظر موعد تخرجى ليُحَمِّلَنِى كافة شئون الشركة مع أخى

هشام رحمه الله ووعد صديقى " على " بعمل مجزى سوف يحصل عليه فور انتهاء دراسته , وبالفعل أنهينا دراستنا وانشغلت أنا بالماجستير وذهب على للعمل فى شركة والدى فور ظهور النتيجة , تعرفت عليه فى أولى ايامى بالجامعة بعد انفصالى عن صديقى إيهاب , هادئ الطباع , خجول , منطوى احيانًا , يشبهنى فى بعض الصفات وحتى قسمات وجهينا , عند تعارفنا أخبرنى أن والده ووالدته تُوُفِّيا فى حادث سيارة وانتقل هو للعيش مع عمه حتى دخوله الجامعة , والآن يستأجر شقة خاصة به يدفع ايجارها ويكمل تعليمه من معاش والده ووالدته الموظفين , فى البداية أشفقت لحاله ثم تطورت صداقتنا أكثر حتى أصبح فى معزة أخى هشام , تشاطرنا الكلام والجلوس والمذاكرة وحتى النوم , فكان أكثر مبيته عندى وأكثر جلوسنا عنده , أحبه أبى وأمى كثيرًا لحسن خلقه , كم من الليالى قضيناها نتحدث عن قصة الحب العنيفه التى ننتظرها , وكان هو دائم الشكوى من عدم قدرته فى اجتذاب الفتيات نظرًا لنظارته الطبية وقصر قامته وكنت أنا أنافقه باسترسالى فى ذكر محاسنه وانه لولا "الكوسة" لاصبح " نجم شباك " بوجهه الطفولى وبشرته البيضاء المشبعة بالحُمرة وابتسامته الجذابة , استمر بالعمل فى شركة والدى حتى بعد وفاته ولحاق أخى هشام به لكن قبل شهرين اكتشفت بعض الأخطاء الحسابية اثناء مراجعتى لميزانية الشركة , كانت هذه الاخطاء كافية لطرده خارج الشركة لكنى أبقيته لتمكنه من العمل وإخلاصه السابق ولأعلم ما الذى اضطره لفعل هذا .

- عامل ايه يا صاحبى ؟ قالها وهو يحتضننى

أجبت بابتسامة :

- شغال

ابتسم بسخرية :

- طيب ياعم اليونيفرسال يارب تفضل شغال ما تفصلش

جذبنى من ذراعى ليَحُثَّنِى على النهوض

- قوم ياعم نقعد فى البلكونة بدل قعدة السرير اللى تمرض دى

جلسنا فى مكاننا القديم ننظر للمنازل الحديثة المصطفة التى كانت مجرد أرض خاويه نلعب فيها كرة القدم بعد خروجنا من الجامعة , لا أعلم هل نحن من يتغير أم الزمن هو من يجبرنا على التغير

لاحظ على شرودى فانتزعنى منه :

- ما توحد الله ياجدع انت عامل كدا ليه , ايش حال انها حتة عينة يعنى

- مش يمكن النتيجة تطلع كانسر

- ياجدع تف من بوقك , الدكتور قال انه نشاط زايد فى خلايا المخ وعاوز ياخد عينة يعرف سبب الأعراض أيه

زفرت بعض ضيقى :

- زهقت ياعلى من الدكاترة وقرفهم , حاسس إنى أصغر من الهم دا

ابتسم على فى حزن:

- كلنا صغيرين ع الهم ياعم شريف بس شكل الهم تخصصه عيال

- هههههههه طيب قولى ياعم الكبير الشغل أخباره أيه , نهلة بتقول ان الحال واقف ومحتاجين وجودى ,الكلام دا بجد ولا رغى ستات ؟

تردد " على " قبل أن يجيب سؤالى :

- والله يا شريف هو فى شوية مشاكل كدا مع الموردين

- مالهم الموردين ؟؟ , تسائلت وأنا اعتدل فى جلستى وأرمق " على " بنظره تساؤل

- بص يا شريف أنا ما كنتش عاوز أفاتحك فى الموضع دا إلا لما تخف وتقف على رجليك , بس مادام انت بقى اللى طلبت فأنا هقولك واريح دماغى

- ما تخلص ياعم " على " انت هتحكى قصة حياتك

- بصراحة يا شريف نهلة مراتك حاشرة مناخيرها فى الشغل فى كل صغيرة وكبيرة لدرجة انها مصممة على شركات معينة نستورد منها الأدوية واحنا ما بنتعاملش معاها أصلًا

- طيب ونهلة تعرفهم منين ؟

- والله السؤال ده تسأله ليها هى , قالها شريف بنبرة أعرفها جيدًا تحمل فى طياتها الشك وإلقاء التهمة

- عمومًا أنا هكلم نهلة وافهم منها وابقى أكلمك , وانت خلى بالك من الشركة ياعلى انت عارف كويس دى أيه بالنسبة لى وانى مستأمنك عليها بحكم العيش والملح اللى بيننا , يعنى ياريت ما ألاقيش غلطات حسابية مرة تانية واظن انك فاهمنى

بدا عليه علامات الحزن لا أعلم إن كانت صادقة أم مصطنعة :

- إنت لسه مقتنع إنى بسرقك يا شريف

- أنا مش مقتنع بحاجة يا "على" أنا بس بنبه عليك , وياعم خدها على إنها نصيحة مش لازم يعنى تبقى شك

نهض على من مقعده وهمَّ بالذهاب , كعادته كل مرة أواجهه بتقصيره ينصرف وسط نظرات الأسى والاستعطاف التى مللتها :

- ماشى يا صاحبى هعدى عليك تانى , خلى بالك من نفسك

- مع السلامة ياعلى

دخلت أمى بعدما لاحظت خلافنا :

- فيه ايه يا شريف انت متخانق انت وعلى ولا ايه

- مش متخانقين ولا حاجة أنا يادوب فكرته بالغلطات الحسابية اللى لقيتها فى الدفاتر

- طيب يا ابنى ما كنتش قولتله حاجة مش يمكن مظلوم

- مظلوم ازاى يعنى يا ماما إذا كان هوا اللى ماسك حسابات الشركة , عمومًا أنا سامحته وقولت يمكن كان محتاج بس صدقينى لو اتكررت هطرده من الشركة وهنسى العشره اللى بينا

- نظرت إلىَّ أمى بعصبية :

- مش كل حاجة الواحد شايفها تبقى حقيقة , ياما حقايق كتير اتزيفت ,لازم تتأكد الأول قبل ماتتهم صاحب عمرك و ربنا يبعد عنك شر خلقه يا ابنى

قالتها أمى وهى تخرج من الغرفة وتتركنى أعيد ترتيب حساباتى

- على صاحبى الوحيد اللى باقيلى بيسرقنى بس للاسف أنا محتاجله وعلى الأقل اهو بيسرق بس شايف الشغل صح , نهلة ما أعرفش ليه عاوزه تتدخل فى شغلى مع انها ما تعرفش حاجة فى الأدوية ولا حتى فى

الحسابات بس شكلها عايزه تأمن مستقبلها بعد ما أموت ماهى عايشة مع واحد محكوم عليه بالموت من مرض لا يعرفه ولا يعرف علاجه , يارب أنا دماغى تعبت وما بقتش قادر أكمل ياترى هيتكتب لى أعيش ولا هحصل هشام

-هشام ؟؟

- أنا حلمت بهشام تانى , بس المره دى مش عارف هو عاوز ايه ولا عارف أنا ليه بحلم بيه مع انى ما حلمتش بيه من يوم ما مات لحد اليوم المشؤوم بتاع العملية , ياترى عاوز ايه ؟ , يمكن عاوزنى اروح معاه ؟؟ , طيب ما أنا كنت معاه رجَّعنى ليه ؟ , طيب ايه اللى مش بإيدينا نغيره ولا نمنعه ؟ , طيب اخد بالى من ايه ؟

من ايه ؟

***

رنين هاتفى هو منقذى الدائم من هواجسى المؤلمة

- الو

- ازيك ياشيرى

- ازيك يا إيهاب

- عامل ايه النهارده ؟

- كويس الحمد لله

- مش هتيجى القهوة النهارده ولا ايه ؟

- لا والله يا إيهاب مش قادر من الصبح زيارات وتليفونات وزمان نهلة كمان جاية دلوقتى , خليها يوم تانى

- ايوه ياعم المهم عيشلنا فى الدور بقى

- ياض ياغبى الناس عارفة انى خرجت من المستشفى وجايه تطمن عليا

تهكم إيهاب كعادته :

- وكمان ناس دا انت ناقص تقولى هتطلع مع معتز الدمرداش الحلقة الجاية ياعم العالمى , طيب تعالى شوية غير جو

ابتسمت لطريقته التى لا تتغير :

- مش قادر والله , أنا صحيت على صوت أمانى ويوسف ويا دوب مشيو لقيت على جاى ولسه ماشى من شوية ونهلة هتيجى دلوقتى غير الناس اللى فى الشركة بتتصل بيا طول النهار وبيقولوا هيجمعوا بعض وبيجوا

- ايوه بقى عبيلو واديلو ربنا يكتر أحبابك

- هههههه غور يالا اتسرمح فى أى حته إلا هنا علشان أمى ما بتحبكش

- امى بردو يا بيئه اسمها مامى

ضحكت حتى ارتفع صوتى :

- والله ونضفت وعرفت مامى

- تلميذك يامدرسة , قولى أمانى ويوسف عاملين ايه

دب الحزن فى قلبى مرة أخرى عند ذكرهم :

- كويسين من برا بس الله أعلم باللى جوا

- الله يعينهم بردو اللى حصل لهم مش شوية

- ربنا يلطف بهم

- وعلى عامل ايه

أجبت بشرود :

- كويس

- ايه ياعم انتوا قافشين ولا ايه

- لا مش قافشين ولا حاجة بس انت عارف من ساعة موضوع الحسابات وأنا قافل منه

حاول إيهاب التخفيف عنى :

obeikandl.com

- يا شريف كلنا بنتزنق ويمكن وقتها كان محتاج فلوس ضرورى واتحرج يقولك

أجبت بعصبية :

- اتحرج يقولى يا إيهاب يقوم يسرقنى

- يووووووه ياعم خلصنا بقى من أم الموضوع دا , خلاص غلطة وعدت ما يبقاش قلبك اسود كده

- عمومًا أنا فعلًا عديتها وسيبته يكمل شغل بس اكدب عليك لو قلتلك ان قلبى صافى له زى زمان , هفضل وراه لحد ما أعرف عمل كده ليه وليه ما بيبررش الغلطات دى وكل اللى عليه يتصعبن ويقولك انت بتشك فيا ؟ , يبقى سارقنى ويسألنى إذا كنت شاكك فيه ولا لأ , والله دى حاجة جميلة

- جميلة ابو حريد هع هع

- وحياة أمك لوماقفلت لاجى اطلع تيت تيت تيت

برغم ضيقى لكنى فى النهاية ابتسم بعد اى حديث بينى وبين إيهاب , شخصيه برغم مافيها من هموم لكنها تسعد الآخرين .

نظرت فى ساعتى وجدتها العاشرة مساءً ولم تصل نهلة حتى الان , شعرت بخوفى عليها وربما اشتياق لا أسمح له بالخروج , اتصلت بها لأطمئن ..

- الو , ازيك يا نهلة

- ازيك يا شريف عامل ايه دلوقتى

- يعنى انتى سألتى

- اتصلت بماما الصبح واطمنت عليك

- طيب ما إتصلتيش بيا ليه ؟

- لو كنت عايز تسمع صوتى كنت اتصلت بيا أول ما صحيت , أو ع الأقل كنت رجعت على بيتك

حاولت إدارة دفة الحديث حتى لا أدخل فى حديث نسائى لاينتهى :

- طيب انتى مش هتيجى ولا ايه ؟

أجابت نهلة فى خباثة :

- وحشتك بعد الشر ؟

أجبتها بمجاملة :

- أكيد وحشتينى

ظهرت السعادة فى نبرة صوتها :

obeikandl.com

- دقايق وهكون عندك , أنا أصلًا قاعدة فى كافيه جنب البيت بس قولت مش هطلع إلا لما تتصل بيا واحس انك عايز تشوفنى

ضحكت لأفعالها الطفولية :

- طيب اطلعى بلاش لعب عيال

- حاضر سلام

- سلام

عدت مره اخرى لهواجسي , هذه المرة اختصصت بها نهلة , لا أعلم ما الذى دفعنى للاتصال بها , هل حقًا ما يقال أن الحب يأتى مع العشرة , وحتى إن كان هذا فأنا لا أسمح لهذا الحب بالإنتشار وكأنى أقتل طفلًا بريئًا أو نبتة صغيرة تجاهد لترى النور , لماذا دائمًا ألقى عليها لوم زواجنا , فأنا من تقدم لها وطلب منها الإرتباط , فلاذنب لها فى زواج حبيبتى السابقة ولا فى ارتباطنا , دائمًا القى اللوم عليها وأنى لم أجد فيها الزوجة التى تمنيتها , ولكن ماذا فعلت أنا لها ؟

كنت أنسى أى ذكرى حلوة بيننا , أنسى أى تاريخ يجمعنا , على مدار زواج اقترب من العامين لم أتذكر مرة واحدة عيد ميلادها أو عيد زواجنا , وحتى قبل مرضى كنت منهمكًا فى عملى لا أرى غيره

لماذا حكمت على زوجتى انها ليست الزوجة المناسبة وأنا حتى لم أعطها حق تقييمى

هل أعطيتها حقها فى الحب ؟

كنت زوجًا صالحًا؟

هل وجدت فىَّ ذلك الحبيب ذو الجواد الأبيض ؟

تبًا لى ولحياتى اللعينة التى لم تُسْعِد أحدًا يومًا, لماذا لم أرحل أنا وبقى هشام يحتضن زوجته ويرعى ابنه المكلوم

هل اخطأنى القدر وأخذ أخى ؟

فى خضم تفكيرى حضرت نهلة وهى تحضر بوكيه ورد آخر وابتسامة لامعة لكن بدا عليها علامات الإرهاق , وضعت البوكيه بجوارى على السرير وجلست فى الكرسى المقابل لى :

- عامل ايه النهارده ياحبيبى

قبَّلت يدها فى امتنان :

- أنا بخير ياحبيبتى , اسف انى تاعبك معايا

وجدت فى عينيها نظرة حانية فاحتضنت راسى فى صدرها وقبَّلت جبهتى:

- أنا مستعده أتعب العمر كله واشوف فى عيونك النظرة دى

قبَّلتُ يدها مرة أخرى :

- لسه زعلانه ؟

obeikandi.com

- من ايه ؟

- انتى عارفه ؟

- كنت أتمنى تخرج من المستشفى على البيت وتبات فى حضنى , يمكن وقتها هحس بقيمة وجودى فى حياتك

- بس انتى أغلى حاجة عندى يا نهلة

ابتسمت فى حزن :

- بيبان عليك لما تكدب

- بس أنا ما بكدبش

- يبقى بتجامل

- وليه بتقولى كدا

- الحب يعنى حياة , يعنى عالم مش شايف ملامحه من غير حبيبك , يعنى ايد تطبطب عليك وقت وجعك , يعنى حضن ترمى فيه همومك , يعنى أول حد تفكر فيها وانت فرحان , يعنى دمعة مكسوفة تنزل قدام حبيبك , يعنى دنيا اخترتها وعمر تتمنى تعيشه علشان تشوفه فى كل لحظة , يعنى حياة ما فيهاش كدب , ما فيهاش خيانة , ما فيهاش حد بيتألم , يعنى توهب حبيبك عمرك كله بس ,, بإشارة من إيده,, انت شايف فيا كده يا شريف ؟

obeikandl.com

- أنا عارف انى مقصر وعارف انى يمكن ما كنتش الحبيب ولا الزوج اللى إتمنيتيه بس ..

وضعت نهلة يدها على فمى :

- انت الإنسان اللى اتمنيت أرتبط بيه واعيش عمرى معاه واكبر واعجز أنا وهو بس مش أنا الست اللى انت اتمنيتها

حاولت إخفاء كذبى الفاضح :

- لأ يا نهلة , يمكن ما إتجوزناش عن حب بس دا مش معناه إنى ما بحبكيش

ابتسمت نهلة وهى تضع قبلة على جبهتى :

- كفاية عليا انى بحبك

أخرجت بعض الأوراق من شنطتها :

- أنا جبت نتايج العينة بس لسه هوديها بكره للدكتور .

- طيب ما ينفعش نوديها دلوقتى

- اهدى يا شريف كله هيبقى تمام ومش هيطلع فيها حاجة إن شاء الله وبعدين أنا فعلًا اتصلت على الدكتور بس لقيت تليفونه مغلق

أومأت برأسى تفهمًا وأنا أقص لها ما حدث :

obeikandl.com

- على فكرة " على " كان هنا النهارده

تسائلت فى فضول :

- وسألته ع الشغل؟؟

- ايوه و قالى حاجة غريبة

- قالك ايه ؟

- قالى انك مصممة على شركة أدويه نستورد منها و احنا أصلًا عمرنا ما إتعاملنا معاها ولا عندنا معلومات كافية عنها وهو مش عارف سبب إصرارك ايه , وأنا قولتله انى هتكلم معاكى واعرف منك أسبابك وبعدين أقرر هنتعامل مع مين

ابتسمت نهلة فى سخرية :

- طيب طالما هو مستغرب أوى كدا مقالكش انه كان عاوز ياخد Commission من شركة الأدوية اللى هو نفسه اقترحها فى اخر اجتماع

رددت بتعجب :

- عمولة ؟؟

- ايوه يا شريف , دا اللى عرفته من كام يوم انه كان عاوز نكمل شغلنا مع الشركة اللى هو اقترحها لأنه بياخد منها عموله 10 % من الفلوس

obeikandl.com

اللى احنا بندفعالها واللى اكتشفته بعد كدا إن الأدويه دى نسبة المادة الفعالة فيها أقل من الطبيعى وعلشان كدا البيه المحترم عاوزنا نتعامل معاها , بس أنا عرفت شركة محترمة كان بيتعامل معاها ناس أصحاب بابا الله يرحمه واقترحتها لصاحبك وهو رفض

- بس انتى ما قولتليش قبل كدا ان والدك ليه علاقة بالأدوية أصلًا

- انت عارف ان بابا كان موظف كبير وكان يعرف ناس مهمة وليه علاقات مش لازم يبقى صيدلى علشان يعرف شركات أدوية

ضربت قبضتى بيدى من الغضب :

- أنا هتصرف معاه ورحمة أبويا لا أربيه

- أنا حاولت امنعه انه ياخد أى إجراء فى فترة غيابك لحد ما تخف وتمسك انت الموضوع وعمومًا طالما انت واجهته فهو هيخاف يعمل حاجة .

ثم نَظَرَت إلى النافذة واستطردت:

- من يوم ما إتجوزنا وانت ما بتثقش فيا ومسلم رقبتك لـ على , وانت عارف انه بيسرقك بس أهو أحسن منى عندك وخلاص , مع انى عمرى ماعملتلك حاجة وحشة ولا شفت منى تصرف بيدل على تفكيرك ده

عدت بظهرى للوراء وأغمضت عينى لا أعرف ماذا أفعل ..

- شكلك تعبان , أنا اسفة انى ضايقتك والله ماقصدى وكنت عايزه أبعدك عن القرف دا كله بس انت اللى واجهته وكنت عايز تعرف الحقيقة

قالتها وهى تقترب نحوى وتقبل جبهتى

- أنا هسيبك ترتاح واجيلك بكره بعد الشغل , مش عايز حاجة أعملهالك ولا أجيبهالك معايا

ابتسمت فى هدوء :

- لا ياحبيبتى شكرًا

أمسكت بيدها قبل أن تبتعد وقبَّلتَها هامسًا :

- سامحينى

ربتت على يدى

- ما أقدرش أعمل غير كده

انصرفت وعدت أنا برغبتى للنوم مجددًا فهى الشىء الوحيد الصادق حاليًا ..

هشام

هشام

ركضت نحوه أستوقفه , وللمرة الأولى لم يسمعنى ولم يلتفت لوجودى , واستمر فى حديثه مع شخص اخر لا أرى وجهه ..

كان هشام يقف فى غرفة تشبه مكتب والدى رحمه الله , يبدو عليه الغضب والعصبية , نبرة صوته توحى بالتوعد لشخص ما , لم أستطع تمييز كلامهم بدقة ولكنى سمعت بضع كلمات مما قالها :

- وهنعمل ايه ؟

- ايه اللى عرفنا انها مش هتطلب تانى

- لازم ما نطاوعهاش احنا ما نضمنش تفكيرها هيوديها لحد فين

- يبقى ننفذ اتفاقنا

هشام أنا شريف انت مش بتبصلى ليه , سألته وأنا أقترب لأجذبه من ملابسه ولكنى وجدت يدى وكأنها من هواء , وكأنى شبح يقف بجانب أخى وضيفه اللذان يتحدثان..

نظرت لنفسى فى المرآة المجاورة ولكنى لم أرانى ..

هلعت أتحسس وجهى , أنفى , فمى , عينى , جبهتى , شعرى , يدى ..

أشعر بهم لكنى لا أراهم ..

هرعت لباب الغرفة أفتحه رعبًا وهربًا..

وجدتنى داخل منزلى وأنا هناك أسير فى اتجاه غرفتى , ذهبت خلف شبحى أرى مايفعل , وجدتنى أجلس على مقعد وأمامى طاولة عليها طبق مغطى وكانه طبق شهى يخاف طاهيه أن يبرد فغطَّاه ..

وأنا جالس ممسك بالملعقة فى يدى وبيدى الأخرى أزيح الغطاء ..

دود ؟؟!!!

الطبق يملأه الدود والحشرات , كتلة سودا كأنها وسخ , وأنا أمد يدى لأتناوله ..

شعرت بمغص , ألم , تقزز ..

أتمنى أن أمنع نفسى ولا أستطيع , تسمرت فى مكانى , أرى عذابى ولكن لا أستطيع منعه , استسلمت وخارت قواى ...

هويت من الأعلى لأسقط متيقظًا , مغص رهيب , هبوط تام , ألم شديد

كانت حالتى عندما استيقظت من نومى أعانى وكانى أكلت بالفعل ماكان أمامى من سموم متحركة مقززة , أمقُتُ نفسى كلما تذكرتها وأُفَضّل الإنتحار ولا أتذكر نفسى آكلها مرة أخرى ..

قفزت من سريرى على مغصة قويه ورغبة فى القىء ..

هرعت للحمام أفرغت مافى بطنى وجسدى كله يئن , لا أدرى هل الألم جسدى أم نفسى ولكنى أتألم ..

ذهبت للمطبخ وأعددت بعض النعناع لعلى أهدئ من صرخات بطنى المتأججة ..

تناولت مشروبى وأصبحت أفضل وحاولت أن أتناسى ما رأيته ..

وقفت فى الشرفة أستنشق بعض الهواء النقى لعله يغسل ما بى من قذارة حتى وإن كان حلمًا ..

- انت صحيت ياحبيبى

انتزعتنى أمى من أفكارى وأحمد الله انها انتزعتنى

- ايوه يا ماما صباح الخير

- صباح النور ياحبيبى عامل ايه دلوقتى

- أحسن الحمد لله

- وايه اللى مصحيك بدرى كده

- هروح الشركة

- الشركة ؟

- ايوه بقالى كتير مش مركز فيها ولازم اروح اشوف الشغل

obeikandl.com

- يا ابنى دا انت خارج من المستشفى بقالك يومين بس واهو " على " ممشى الشغل لحد ماتبقى كويس

- على ؟؟ قلتها وأنا أشيح بنظرى عنها محاولًا ألا أبدى غضبى , ما تقلقيش يا ماما أنا كويس بس لو سمحتى اعمليلى كوباية شاى على ما ألبس

- طيب والفطار ؟

تذكرت حلمى وأوشكت أن أتقيأ مرة خرى ولكنى حاولت التناسى ..

- هفطر فى الشركة ..... مع على

- ماشى ياحبيبى على راحتك

- على فكره يا ماما أنا هرجع بيتى بعد الشغل

ابتسمت أمى فى فرحة :

- بالسلامة يا ابنى ربنا يريح قلبك ويهدى سرك

قالتها وهى تخرج من الغرفة لتعد لى الشاى وشرعت أنا فى ارتداء ملابسى , استعدادًا لمعركتى القادمة ..

***

شركة والدى رحمه الله , أسسها بالمجهود الذاتى , صيدلى محترم تخرج من الجامعة وبداخله طموح كبير فى امتلاك إحدى الشركات المحترمة التى تنفع الناس بدلًا من تلك التى تتاجر بآلامهم ..

نصف ساعة وأصبَحْتُ فى مكتبى , أتذكر دخولى له لأول مرة بعد وفاة هشام رحمه الله , كنت أعتمد عليه فى كل شىء حتى اننى بعد وفاته وجدت نفسى لا أستطيع عمل أى شىء وحدى , عرض علىَّ والدى التعيين بعد التخرج مثلما فعل مع على لكنى رفضت مدعيًا استكمال الماجستير , ظاهريًا كان هذا مقنعًا ولكن داخليًا كان مجرد هروب من العمل مع والدى , كما فعلت من قبل ورفضت دخول كلية الصيدلة حتى لا أكون نموذج ثالث لأبى وأخى , اخترت الدراسة بكلية التجارة حتى أبتعد تمامًا عن مجال والدى ولكن يشاء القدر أن يذهبوا جميعًا ولم يتبق غيرى لإدارة تلك الشركة, مهزلة قدرية تُكتب حلقاتها يوميًا ..

طرق على باب الغرفة أخرجنى من بحر ذكرياتى ..

- ادخل ياعلى

- صباح الخير , ازيك يا شريف , حمدلله على السلامة , والله كنت جايلك النهارده عند ماما واتفاجأت لما قالولى انك هنا

قالها وهو يمد يده لى بالمصافحة ..

ترددت لحظات وصافحته حتى لاحظ ترددى ونظرتى الغاضبة ..

- مالك يا شريف ؟ قالها على وهو يجلس على المقعد المقابل لى

- قولى ايه حكاية شركة medi international دى ؟

اضطرب على وهو يجيب :

- دى شركة اتعاملنا معاها مرتين تقريبًا ولقينا أدويتها أسعارها كويسة والمادة الفعالة فيها مظبوطة وعملنا عليها كام اختبار وطلعت perfect

- وشركة hello medical؟

- دى الشركة اللى اقترحتها نهلة مراتك والأدوية بتاعتها سيئة جدًا والمادة الفعالة فيها أقل من المطلوب وبأسعار أعلى من العادى

- طيب والـ commission

سألته وأنا أنظر فى عينه مباشرة وهو يجلس أمامى مدعيًا الجهل..

- Commission ايه ؟

- العموله اللى بتاخدها من شركة MEDi

نهض على من مقعده مدعيًا الدهشه :

- عمولة ايه يا شريف انت اتجننت , من إمتى واحنا بناخد عمولة من الشركات سواء فى مناقصة ولا توريد , وعمولة علشان ايه ؟

أجبت ببرود:

- علشان تضربنا على قفانا وتخلينا نوافق على تجديد تعاقدنا معاهم

- وأنا من امتى وأنا ببيع نفسي يا شريف

نهضت أنا الآخر حتى أصبحت كالأسد الذى يهم باقتناص فريسته :

- من يوم ما اكتشفنا الغلطات الحسابية ياصاحب اليد البيضاء وقولنا خلاص عديها أصله كان مزنوق حبتين, لقيت نفسك خلاص اتكشفت قولت تسلك أمورك من حته تانيه

- انت فعلًا اتجننت , قالها على وهو يضرب بكفيه على سطح مكتبى

اجبته بنبرة أعلى وأكثر حدة :

- انت اللى اتجننت لما افتكرتنى سيبتهالك مخضرة وروحت رقدت على سرير فى مستشفى , وحياة أمك لأدفعك قد اللى خدته مرتين

قلتها وقد انتقل بركانه إلىَّ وانفجر فى جسدى كله حتى أننى ضربت بكفى أشد وأعنف مما فعل على سطح مكتبى وواجهته بعينى التى كادت أن تحرقه من شدة غيظها..

همَّ على بالخروج :

- أنا من النهارده مش قاعدلك فى الشركة دى , وابقى اشرب انت بقى ياعم شريف ووريني هتعمل ايه

- فى ستين داهية , أنا اجيب ألف واحد أحسن وأنضف منك مش تربية شوارع

لا أدرى لِمَ قلتها , ولِمَ خَرَجَت تلك الكلمة من فمى , لماذا أصبحت بلا أخلاق هكذا ؟؟

نظر إلىَّ على بتحدٍ :

- كدا خلصت ياعم شريف , الأخوة اللى بيننا والعيش والملح خلاص بخ , وابقى وريني يا تربية القصور هتشغلها ازاى ؟

قالها على وانصرف وأنا أصيح بغضب :

- هعمل اللى ابويا عمله لوحده من غير الكلاب اللى ديلها ما بيتعدلش

لا أدرى ماذا حدث بعدها ولكنى شعرت بحرارة اجتاحت جسدى كله دفعة واحدة ثم هدوء ...

- وهنعمل ايه ؟

- وايه اللى عرفنا انها مش هتطلب تانى

- لازم ما نطاوعهاش احنا ما نضمنش تفكيرها هيوديها لحد فين

- يبقى ننفذ اتفاقنا

كلمات اخترقت أذنى جعلتنى أنظر لقائلها ..

هشام مرة أخرى يتحدث مع نفس الشخص فى نفس المكان ..

من ذلك الرجل ؟ , ومن تلك المرأة التى يشار إليها فى حديثهم؟ , أفكار كثيرة دارت بعقلى بغتة وكأنها تسابق عقارب الساعة , لم أستطع أن أتحدث هذه المرة فقط وقفت أستمع حتى لا أُضَيِّع أى كلمة دون أن أسمعها لعلى أجد إجابة ..

- فين الحاجة , قالها الرجل الذى يحدث هشام أخى

- عند أمانى

- وكلمة السر

أخرج هشام من جيبه ورق كُتِبَتْ فيها أرقام أراها بوضوح ..

-1.13.1.14.25

ايه كلمه السر الغريبة دى ؟؟؟ أقولها فى نفسى ولكنى أخشى الكلام حتى لا أقطع حديثهم ..

- يعنى متأكد ؟ سأل الرجل الخفى مرة أخرى

- ما تقلقش هيظهر فى الوقت المناسب

- وأمانى تعرف حاجة ؟

- قولتلك ما تقلقش يا بابا محدش يعرف حاجة غيرى أنا وانت

بابا .؟ بابا ؟

بدأ وجه الرجل الخفى فى الظهور..

إنه والدى سيف الدين الشوربجى الذى توفى قبل خمس سنوات , كيف لم أستطع تمييز وجهه حين رأيته أول مرة , وماهذا الشىء الذى يتحدث عنه مع هشام ..

- شريف .. سامعنى يا شريف

- شريف فوق يا شريف

فتحت عينى لأرى من تجرأ على اقتحام خلوتى ..

- نهلة ؟؟ ايه اللى جابك دلوقتى؟ , تسائلت وأنا احاول فتح عينى

- جابنى فين يا شريف , اتصلوا بيا من الشركة وقالولى انهم لقوك مغمى عليك فى المكتب ونقلوك المستشفى

- أنا فى المستشفى ؟

- ايوه بقالك ساعة

- حمدلله على سلامتك يا شريف

- الله يسلمك يادكتور إبراهيم

دكتور إبراهيم هو ذلك الاستشارى الذى يتابع حالتى المستعصية التى كادت أن تُسْقِطَ ماتبقى له من شعر..

- حصل أيه خلّاك يُغْمَى عليك بالشكل ده

- مش فاكر

- مش قولنا نخلى بالنا من صحتنا , واضح انك عملت مجهود زايد أو انفعلت زيادة لدرجة علّت ضغطك وخلتك وقعت بالشكل ده

تذكرت على وما حدث فى الشركة وحاولت ألا أنفعل مجددًا ..

- خلينا فى المهم يادكتور , النتيجة .. نتيجة العينة أخبارها ايه ؟

- والله يا شريف مش عارف أقولك ايه , خلايا مخك سليمة من الجانب النظرى لكن فيه حاجة بتخليها مرة واحدة تنشط أوى وكأنك بتفكر 24 ساعة , مخك مش راضى يقف , مش راضى ينام , وكل ده بيضعف الخلايا المسئولة عن التركيز والذاكرة والنظر والتوازن وغيرها من وظايف المخ الأساسية

- طيب وإيه السبب ؟؟

- ما أعرفش !!

- يعنى ايه ما تعرفش يا دكتور

قلتها بنبرة عصبية واضحة واستكملت بنبرة أعلى :

- أنا ما بقتش عارف أنام وحتى لونمت بحس إنى عمال أخبط فى الدنيا والاخرة ما بقتش عارف ارتاح ولا أركز ولا حتى أفتكر أى حاجة , الصداع ما بيسبنيش , المسكنات ما بقتش تجيب نتيجة , جرَّبت كل حاجة وما نفعتش , أنا لو فضلت كده هتجنن يادكتور إبراهيم هتجنن

- اهدى بس يا شريف وامشى على العلاج وان شاء الله يجيب نتيجة

وصلت عصبيتى لذروتها وكدت أنفجر فى وجه طبيبى المسكين الذى لا يدرى سببًا لمرضى

- أمشى على ايه ؟؟؟ على مهدئات ومنومات زى المجانين لحد ما أتجنن بجد ولا أبقى مدمن وامشى أهرش فى إيدى واجى أبوس إيدك تدينى الحقنة

- إهدى يا شريف , الأدويه اللى بديهالك بتخلى عقلك يرتاح يبطل تفكير بدل ماهو شغال ليل نهار وتتجنن بجد

دموع ساخنة سقطت رُغْمًا عنى :

- أنا تعبت يادكتور تعبت نفسى أرتاح بقى , قلتها وأنا أضع يدى على رأسى أمنع شظايا الإنفجار من أن تصيب أحدًا بجانبى

- ان شاء الله هتبقى كويس يا شريف صدقنى , قالها دكتور إبراهيم وهو يتجه نحو الباب ويغلقه خلفه ويذهب

احتضنتنى زوجتى نهلة فى محاولة منها لتخفيف ألمى ..

- خلاص يا نهلة أنا ما بقتش انفع لازوج ولا إبن ولا أخ و حتى لو فكرت انى أبقى أب بردو مش هينفع, أنا بقيت جسم من غير لا روح ولا قلب , مجرد مخ شغال من غير وقوف , قطر ماشى على قضبان رافض يقف فى أى محطة لحد مافى الأخر هيعمل حادثة ويموِّت كل اللى فيه .

احتضنتنى نهلة أكثر وأحسست بحرارة دموعها تقطر على خدى الشاحب الذى نسى ملمس الدمع منذ وفاة أخى ورفيق دربى ..

- حتى لو كان جسمك معايا وروحك لأ , بردو هفضل أحبك وأتمناك واشوفك أحسن زوج ف العالم , انت حياتى اللى ما عشتش قبلها ولا هعيش بعدها وانت روحى اللى بتحبك بكل ذرة فيها وانت العالم اللى حلمت أعيشه وانت الحياة اللى حلمت أفضل فيها لحد ما أموت .

كلمات نزلت على قلبى الشقى كنزول قطرة مطر على جوف تشقق من العطش , ياليتنى احتضنتك يومًا وأعطيتك حق سلبه منكِ شبح انسان

- ربنا يخليكى ليا ياحبيبتى وما يحرمنيش منك أبدًا

- طيب يلا قوم بينا بقى الدكتور قال انك كويس وتقدر تروَّح , قالتها وهى تمسك بيدى وتجذبنى للنهوض , مسحت قطرات دموعى الواهنة وابتسمت محاولًا التخفيف عنها

- هنروح فين ؟؟

ابتسمت هى الأخرى :

- والله لو حابب أوصلك عند طنط أوك , ولو تحب نقعد فى حته ما عنديش مانع

- لأ , أنا عاوز أروح شقتنا

ابتسمت نهلة فى فرحة :

- هو ده الكلام يلا بينا

أمسكت يدها وانطلقنا لعشنا المهجور ...

استقللنا السيارة حتى وصلنا لعشنا الجافى الذى بالكاد أتذكر أين مكانه ولا أستطيع تذكر أى لحظة مرت بى وأنا فيه وكأنى لأول مرة أدخله أو لعلّى لأول مرة أشعر أننى مقصر فى حق زوجتى التى عانت معى كثيرًا , منذ زواجنا وأنا ألقى عليها لومًا لا أعرف ماهو ولكنى ألقيه , لعلى ألومها أننى لم أحببها قبل زواجنا , أو أن زواجنا جاء زواجًا تقليديًا سريعًا حتى أنه كان أسرع من محاولتى التعرف على فتاة جميلة أقضى معها يومان أقتنصهم من الجنة وأعود مرة أخرى لحياتى السمجة أو لعلها أخذتنى من محبوبتى الأبدية التى لم أتمنى الحياة إلا معها ..

- اتفضل ياقلبى , شايف البيت فرحان ازاى بوصولك

قالتها نهلة وهى تمسك بيدى وتدخلنى بيتى الذى لا أتذكر ملامحه ليس ضعف ذاكرة ولكن لقلة عدد أيامى التى أقمتها فيه وكثرة مبيتى عند أمى تارة وأصدقائى تارة أخرى أو التحجج بالعمل والمبيت فى الشركة التى لا أعرف عنها شيئًا تارات وتارات

ابتسمت لدعابتها الخفيفة :

- أنا هدخل اخد شاور بسرعة كده واغسل جسمى يمكن أفوق

هممت بالمشى ولكنها مازالت ممسكة بيدى :

- هتوحشنى

قالتها بنبرة اظهرت ما تُكِنُّهُ بداخلها من رغبة فى إعطائها ولو القليل من حقها كزوجة , نبره أظهرت ما تُكِنُّهُ لى من حب مغمور داخل طيات قلب لا يسمح له الطرف الاخر بالخروج , نبره ألقت على كاهلى عبء إسعادها ولو بالقليل مما تفعله لأجلى ..

أمسكت بيدها وقبَّلَتها :

- مش هتأخر , بس اوعى تنامى

غمزت بغنج :

- تفتكر

ضحكت لأول مرة منذ دخلت دوامة أحلامى ..

بعد دقائق خرجت من الحمام بعد أن القيت على جسدى المتهتك شلالات من المياه الباردة لعلها تطفئ فوران رأسى , وإذا بى أرى ملاكًا هائمًا ينتظرنى بشغف

ملاكًا ارتدى قميصًا ورديًا أظهر مافيه من مفاتن تجذب عيون الرائى , مسكين ذلك الرائى الذى ينظر لهذا الجمال , كيف لم أرها هكذا من قبل وكيف لم أشعر بها من قبل , هل جرؤت على إهمال ذلك الوجه الحسن والجسد المفعم بالأنوثة والجمال

نظرت إلىَّ نظرة اجتذاب كأقوى مغناطيس ينظر لقطعة حديد يريد أن يجذبها إليه

اقتربت منها واحتضنتها وأنا ألعن نفسى مائة مرة على إهمالى لها وغشاوة عقلى التى سبحت إلى عينى وأغلقتهم غباءًا

- بحبَك , قالتها وهى ترمى بنفسها داخل أحضان ملأها الجفاء حتى نضبت منها الدماء

مررت بيدى على شعرها و جسدها أتحسسه وأعتذر له عما بدر منى من إهمال

- بحبِك , قلتها وأنا أعنيها هذه المرة ولعلها أول مرة

اقتربت بوجهها منى حتى كادت شفتانا تلتحم فى قبلة اعتذار طويلة أطلب بها الغفران

- ما حنتش ؟

- حنيت

- ما إشتقتش ؟

- اشتقت

- زاير ولا صاحب بيت ؟

- زرت كتير وتهت كتير نفسى استقر بقى

ابتسمت ابتسامة ملائكية وهى تشير برأسها نحو غرفة نومنا الدافئة فانتقلنا إليها ونهلنا معًا من بحر العشق والهوى ....

***

- صباح الخير , قالتها وهى تدغدغ أنفى بشعرها الناعم

ابتسمت وأنا أفتح عينى :

- صباح النور ع البنور

- هههههه ضحكت وهى تجذب يدى لتحثنى على النهوض

- قوم يللا بلاش كسل عندنا شغل

- لا ما أنا مش رايح الشركة النهارده , أنا رايح لأمانى

obeikandl.com

- أمانى ؟؟ قالتها وهى تستدير لتنظر لى بعد أن همت بالخروج من الغرفة

- ايوه أمانى قلتها وأنا أترقب أسئلتها التى ستسقط علىَّ كالغيث

- ليه خير ؟ قالتها بعصبية تحاول أن تخفيها

- هروح اديها فلوس الشهر , قلتها وأنا أنظر بعينى ف الإتجاه الآخر وأتصنع النهوض من السرير

- ما إنت كنت بتبعتهولها ع البنك اللى شغالة فيه , اشمعنى المرة دى هتروح

- عاوز أشوف يوسف واتطمن عليه واشوفهم لو محتاجين حاجة , انتى ناسية انهم ما كانش ليهم غير هشام أخويا الله يرحمه ولازم أخد بالى منهم

- آه , طيب الله يعينك

قالتها وخرجت من الغرفة والشياطين تلعب فى عينيها لعبًا , ولا تعلم أنى أنا الآخر بداخلى شياطين الإنس والجن تتسائل ماهذا الشىء الذى يخفيه هشام عند أمانى ولا تعلم عنه شيئًا ...

***

دقائق وكنت فى السيارة فى طريقى من مصر الجديدة إلى الإسكندرية حيث انتقلت أمانى بعد وفاة أخى الحبيب..

وصلت البنك وطلبت من أحد العمال إرشادى لمكان مكتب أمانى وبالفعل وصلت لها , كانت مشغولة بمراجعة الأوراق والحسابات التى تعمل عليها طوال رحلة عملها فى البنوك ..

- ازيك ياأمانى

- شريف ؟ ايه اللى جابك , قصدى حصل حاجة ؟

قالتها وهى تنظر لى مضطربة وكأننى شبحًا أقف أمامها ..

- ما تقلقيش أنا جاى أتطمن عليكو واديكى فلوسك

- أنا اسفة يا شريف بس مش متعودة انك تيجى تدينى الفلوس بنفسك

- طيب انتى لسه قدامك شغل كتير ؟ كنت عاوز أعزمك انتى ويوسف على الغدا

- بس كدا, دقيقتين ألم شوية الورق دول ونروح نتغدى , قالتها مبتسمة وهى تلملم هذه الأوراق التى لا أعلم لها فائدة

انتظرتها فى الخارج وبعد دقائق حضرت استعدادًا للذهاب :

- يللا يا سيدى نروح نجيب يوسف ونطلع على مطعم الكورنيش وأدوقك بقى السمك والجمبرى اللى على أصوله مش المضروب اللى كنا بناكله عند فرج هههههههه

- تقصدى أيام هشام

محت كلمتى السخيفة التى لا محل لها من الإعراب تلك الابستامة والضحكة العذبة التى اطلقتها أمانى وحلت بدلًا منها حزن وعينان ترقرقت بالدموع

- أنا اسف يا أمانى أنا مش عارف أنا بقيت غبى كده ليه

- قلتها وأنا استميحها عذرًا أن تعيد ابتسامتها تلك وتنسى حماقة كلماتى

- لا ولا يهمك , ابتسامة مصطنعة

- يلا بينا , قالتها وهى تجلس بجانبى فى طريقنا لأخذ يوسف من مدرسته والانطلاق نحو الكورنيش

وصلنا المطعم , مكان جميل رحب هوائه جميل برغم زفارته أحيانًا , مُطِلّ على شاطئ البحر , مجرد جلوسك فيه يمنحك متعة وفاتح شهية مجانى ..

حاولت مداعبة أمانى تمهيدًا لبدء حديثى :

- ايه كل ده يا أمانى انتى ما أكلتيش بقالك سنة ولا ايه

ضحكت أمانى :

- ذلنا بقى ياعم شريف علشان هتحاسب

- يابنتى دا مش ذل بس أنا هشحت قريب بالشكل دا

وجهت حديثى ليوسف :

- شوف ياعم يوسف امك بتستغلنى ازاى , طلبالنا سمك مشوى وجمبرى وكابوريا وسلطات وشوربة سى فود تعطيك جوانح , بذمتك ينفع الكلام دا

ضحك يوسف هو الأخر وبدأ فى تناول طعامه وسط هدوء ساد للحظات , هممت ببدء الحديث لعلِّى أجد ضالتى ولكنى فى كل مرة أخشى تلاشى ابتسامة أمانى مرة أخرى إذا تطرقت فى حديثى لهشام و ممتلكاته وأطلال ذكراه , ولكنى مضطر فلتغفرى لى يا أمانى نبشى فى جمر أحزانك ..

- قوليلى يا أمانى , قلتها وأنا أتصنع الأكل واللعب بالملعقة فى طبق الشوربة

نظرت لى أمانى باهتمام لاستطراد كلامى

- هو هشام كان عنده خزنة ؟

- خزنة ؟ ما أعرفش والله يا شريف الخزنة دى فى الشركة وأنا مليش علاقة بالشركة

- لأ ما أقصدش خزنة الشركة أقصد خزنة فى البيت

- لأ طبعًا ما كانش عنده يعنى هيشيل فيها ايه , وبعدين انت بتسأل ليه؟

لازلت أتصنع الاكل وهى تنظر لى باهتمام وترقب

- لا ولا حاجة أصل فيه ملف تبع الشركة يعنى دايخين عليه ومش لاقيينه فقولت يمكن كان عند هشام خزنة فى البيت وحاططها فيه واحنا نسينا نفتح الخزنة دى

نظرت لى أمانى بعصبية وغضب :

- طيب ماتقول انك شاكك ان هشام كان مخبى فلوس فى البيت وأنا خدتها لما مات

- لا والله يا أمانى ما قصدت كده أبدًا , قلتها بفزع من ذلك التفكير الذى توصلت له أمانى

- يبقى فيه حاجة انت مخبيها عنى

تمنيت أن أُخْرِجَ لها ما فى قلبى , لطالما كانت أمانى صديقة وأخت ويد حانية على الجميع ولا أشكك فيها لحظة وفى صدق مشاعرها ..

نظرت للطبق مرة أخرى فى صمت طويل ،. حرب دارت بداخلى هل أخبرها وتشكك فى كلامى أم أمتنع وأؤكد شكوكها ..

- فيه ايه يا شريف ؟ انت مخبى عليا ايه ؟

نظرت لها باستسلام:

- تعالى نتمشى على البحر شوية

نهضنا من ذلك المطعم الشهى دون أن نمس طعامنا وكاننا وجدنا فيه حشرة تسرى ....

***

على الشاطئ تمشينا سويًا أنا وأمانى ويوسف وهى تنتظر منى إجابة مع كل خطوة أخطوها وتنظر لى فى ترقب واضح وتحفز خفى ..

- بقينا ع البحر يا شريف مش ناوى تتكلم بقى

وجهت كلامى ليوسف الذى أحضرت له بعض الساندويتشات تعويضًا عن أكله المهدور فى المطعم

- يوسف حبيبى روح اقعد على الكرسى اللى قدام البحر ده وكل ساندوتشاتك

أطاع يوسف كلامى وذهب وتركنا نحن يواجه كلٌ منا الاخر

- بصى يا أمانى أنا حاسس ان على قلبى جبل نفسى أهده , نفسى أخرَّج اللى جوايا لحد بثق فيه , - ونظرت إليها بمودة - زيك يا أمانى انتى عارفة انى بثق فيكى وطول عمرنا أصحاب

ابتسمت فى هدوء :

- طيب احكيلى فيه ايه

قصصت لها ما كان يعتصر قبلى ويُفَجِّر عقلى ويُوهِن جسدى , ازحت من قلبى تلك الصخرة التى كادت تودى به , وأخيرًا ارتحت أو على الأقل تشاركت همى فانتصف عبئى .

نظرت لى نظرة شك أعرفها جيدًا واختبرتها كثيرًا

- أنا مش عارفه أقولك ايه يا شريف , أنا عارفه انك حاسس ان الكلام دا حقيقى بس ....

قطعت كلامها بنظرة غضب

- حاسس ؟؟ يعنى ايه حاسس , أنا متأكد ان اللى بحكيهولك دا حصل حقيقى

- الأحلام والحلق اللى وقع من الممرضة فى العلميات ووجودى فى العملية كلها ومقابلتى لهشام وكلامى معاه وخناقته مع بابا , كل حاجة شوفتها حقيقة , أنا متأكد انى شوفتها

اقتربنا من مقعد على الشاطئ مخصص لتلاقى الأحبه ولا يضير تبادل القُبَل أحيانًا , فجلست أمانى وهى تتردد فى قول شىء حتى وأننى أحسست بصراع يدور داخلها فهممت بإطفائه

- قولى اللى عاوزه تقوليه أنا سامع

أدارت رأسها تجاهى وهى تنظر للأسفل خشية تلاقى أعيننا :

- الدكتور قال ان النشاط الزايد فى خلايا مخك هيخليك تتخيل حاجات ما حصلتش وهتحلف انها حصلت بس هى ف الحقيقة خيال انت حطيته فى عقلك وصدَّقته .

هبطت كلمتها علىَّ كهبوط حجارة سِجِّيل على قوم إبرهة فصعقتهم صعقًا , حتى كاد عقلى المريض أن يتوقف عن العمل ..

نظرت إليها وعينى على متسعها وفمى تدلى وأنفاسى تقطَّعت وكأننى أحتضر ..

- يعنى ايه ؟ , يعنى أنا اللى حطيت ف دماغى كل الوساوس دى , العملية كانت خيال فى دماغى , كلام هشام وابويا كان خيال , إحساسى بروحى وهى بتفارق جسمى بردو خيال

لو انتى ودكاترة العالم كله قالوا كده فأنا مقتنع ان اللى شفته حقيقة , علا صوتى وخرجت أعصابى عن السيطرة حتى كادت عروقى تنفر من

جسدى , فاضطرَّت أمانى للقيام فى طريقها للعودة إلى منزلها وتركى صريع كلماتها , ولكنى تذكرت شيئًا قاله لى هشام ولم أتذكره إلا الآن ..

- أنا ماشية يا شريف ولما تبقى كويس ابقى كلمنى , قالتها دون أن تنظر لى وتهم بالذهاب

- ما خانكيش !!!!

قلتها وأنا أتعمد اهتزاز كيانى مبرح سوف تتعرض له أمانى ولكن لا مفر كى تصدقنى

التفتت لى أمانى كمن لدغه عقرب :

- انت بتقول ايه ؟

اقتربت منها :

- بقولك ما خانكيش يا أمانى , هشام عمره ما خانك ولا حب غيرك , انتى ظلمتيه

أحدثت كلماتى وقعها الذى تمنيت وجلست أمانى على المقعد كبرج اهتزت أركانه حتى تكسَّرَت قواعده وملأ جسده الوهن ..

نظرت لى أمانى بضعف وحزن وانكسار وفزع ودقات قلب كاد يخرج من تجويفه لا يصدق ما سمع ..

- انت عرفت الكلام ده منين , الموضوع ده محدش يعرفه غيرى أنا وهشام

جلست جوارها لاستكمال إلقاء قذائفى المتوهجة :

- عرفته من هشام يا أمانى , تحبى أقولك اللى حصل قبل ما يموت

واستطردت سريعًا ألقى باقى ماعندى قبل أن تفيق من صدمتها

- واحده اتصلت بيكى فى يوم بالليل كان فيه هشام فى الشركة , قالتلك الحقى جوزك بيخونك مع سكرتيرته , طلعتى جرى تمسكيه مُتَلَبِّس , روحتى له الشركة لقيتيه فى مكتبه وقافل عليه الباب هو والسكرتيرة فتحتى الباب وقبل ما ينطق بكلمة اتهمتيه بالخيانة , هشام ما بقاش عارف يعمل ايه ولا يقول ايه , حاول يفهمك ان المناقصات اللى كان داخلها دى حساسة وعلشان كده فضَّل يناقشها بالليل وانه كان قاعد مستنى المدير التنفيذى للشركة وما أخدش باله من الباب إذا كان مفتوح ولا مقفول, ما إديتهوش فرصة يكمل كلامه , قولتى كل اللى عندك وحكتيله ع المكالمة اللى جاتلك وطلبتى الطلاق وطلعتى تجرى , طلع يجرى وراكى خبطته العربية , مات , مات يا أمانى وانتى فاكراه خاين

- مات وفضل يتعذب نفسه يعرَّفِك انه ما خانش

- سيبتى بيتك و حياتك كلها علشان تمحى ذكراه , تمحى ذكرى واحد عاش ومات بيحبك ياأمانى

هبَّت واقفة وأمسكت قميصى وعينها تخرج منها شررًا حارق ودموع تنزل كالسيل المميت ..

- بس اسكت خالص , انت مين قالك على كل ده , انطق

أجبت بتوسل :

- هشام والله العظيم هشام , هشام عاوزك تسامحيه يا أمانى عاوزك تعرفى الحقيقة , عمره ما خانك وطول عمره بيحبك

صرخت بجزع , آآآآآه خرجت من طيات قلب يحترق , انفجرت فى نوبة بكاء كادت أن توقف قلبها وهبط جسدها على المقعد مرة أخرى وكأنه لن يقوم ثانية , غطَّت وجهها بكفيها حتى أننى لعنت نفسى مرة أخرى على إخبارها ولكن براءة أخى كانت أشد عندى من معركة تصديقى ..

جثوت على ركبتى وأنا أستمحيها عذرًا وأبتهل إليها أن تسامحنى..

- أنا اسف يا أمانى والله العظيم آسف أرجوكى سامحينى, بس كنت عاوزك تعرفى قد ايه هشام بيحبك , أنا ...

وضعت يدها على فمى ونظرت إلىَّ بعينين حرقهما البكاء وأدماها الندم..

- ما تعتذرش , أنا اللى اسفه على شكِّى فيه واسفه انى ضيعته من إيدى واسفه إنى عذبته , ياريته يرجعلى تانى وأنا أبوس التراب اللى بيمشى عليه , ياريت ياريت

وانهارت مرة أخرى فى بكاء وعويل أشد وأقسى , حتى أننى خفت عليها أن تلحق به ندمًا وأسفًا ..

- صدقتينى ياأمانى ؟؟

قلتها وأنا ألتمس غفرانًا وتصديقًا ..

نظرت لى نظرة اعتذار متأخر كثيرًا ..

- صدقتك يا شريف

- طيب ساعدينى أرجوكى أعرف ايه السر ورا أحلامى دى علشان هشام وابويا يرتاحوا ..

- هساعدك , قوم بينا على الشقة اللى هجرتها من يوم وفاة هشام , تعالى ندوَّر فيها يمكن نلاقى حاجة , يمكن نرجَّعلها روحها اللى ماتت مع موت صاحبها , ويمكن الاقى شوية ذكريات لسه ما غطاهاش تراب الأيام .

جذبت يوسف من يده وأخرجته من انهماكه فى عمل قصور بالرمل , ليتنى مكانك يا يوسف لما خرجت من طفولتى أبدًا .....

***

3 ساعات .....

مروا ازاى ما أعرفش ....

محدش بيكلم التانى كل واحد سرحان فى عالمه الخاص , بيتخانق مع نفسه , بيأنب نفسه , بيفتكر حاجات , بيحاول ينسى حاجات , تفاصيل كتير وأحداث كتير مرت على عقلى قبل ما نوصل البيت ..

عمارة من العمارات الجديدة فى التجمع الخامس , هشام كان واخد فيها شقة دفع فلوسها من شغله وتعبه ورفض ان حد يساعده فيها كان ناوى يعيش عمره كله مع حبيبته لكن للاسف عاش فيها كام سنة يتعدوا ع الصوابع وسابها , معرفش ده قدر ولا دا عقاب ولا دى دنيا دنيئة بتستخسر فينا الفرحة وبتعتبرها ذنب لازم تكفيره ..

- يلا يا يوسف انزل

وقف تسلسل أفكارى عندما سمعت صوت أمانى تحث يوسف على النزول من السيارة لنبدء رحلتنا الغامضة فى شقة هشام وأمانى التى لا أعرف عن ماذا سوف نبحث ولا من اين سنبدأ وكما يقول الناس " أبحث عن إبره فى كومة قش " ولكن هذا سهل فبتطاير كومة القش سأجد الإبره ولكنى الآن أبحث عن قطرة مياه عذبة وسط أعتى البحار..

دخلنا الشقة , التراب يملئ المكان , الستائر كساها الحزن فانغلقت على نفسها رافضة دخول أشعه الشمس , الأثاث مغطى بالأقمشة وكأن

أصحابه سيهجروه بلا رجعة , حتى ضوء المصباح بدا وكأنه مضطربًا متسائلًا هل كتب له الإضاءة من جديد ..

- معلش البيت كئيب بس انت عارف انى قافلاه من يوم ..

صمتت أمانى لتمنع دمعة جاهدت لتسلك طريق النزول , فكملت حتى لا تنهار ثانية

- آه آه فاهم , لا ولا يهمك احنا هنشوف اللى عاوزينه ونمشى على طول.

3 ساعات أخرى قضيناها فى هذا المكان المقفر الذى يبعث الحزن ف القلوب ولم نجد شيئًا وأصدُقَكُم القول أننا لم نجد شيئًا لأننا لا ندرى عن ماذا نبحث ولكن لعلنا " نتكعبل " فى طرف خيط نساه صاحبه ..

جلسنا وقد أعيانا البحث بلا فائدة , نظرت لى أمانى فى حزن :

- ما بقاش فيه مكان تانى ندور فيه , قَلَبْنَا البيت كله ومفيش نتيجة , حاول تركز كدا يمكن تفتكر حاجة تحطنا على أول الطريق

حاولت التذكر ,حاولت التركيز , حاولت استدعاء هشام نفسه إن لزم الأمر ولكن بلا فائدة ..

- مش فاكر أى حاجة أكتر من اللى قلتهالك والله ما فاكر

لم أجد بدًا من إشعال سيجارة كنت قد انتويت هجرها تمامًا ولكن تداعيات الموقف حتَّمَت ذلك ..

- رجعت للتدخين تانى , تسائلت أمانى فى حزن

- شكلى مش مكتوبلى أبطله

- مفيش حاجة مكتوبه يا شريف , دى حجة عقلنا بيخترعها عشان يخرج من مصيدة التأنيب

نظرت إليها فى لا مبالاة وأنا أزفر دخانى وألقيت لها سهمًا قاتلًا:

- وموت هشام ما كانش مكتوب ؟

نظرت لى فى ثبات أُقِرُّ بأنه كان أشد من ثبات مياه المحيط خلال دوران الكرة الأرضية

- الموت يا شريف مكتوب ميعاده من قبل ما نتولد ومع ذلك يمكن بالدعاء تقدر تغيَّر القضاء وترد الموت نفسه

- وهشام ما دعاش ليه

- انت دعيت انك تخف ؟

شرد ذهنى وأنا أحاول التذكر كم مره تقربت من ربى طالبًا الشفاء ولكنى لم أتذكر

نظرت لى أمانى مستطردة:

- الحياة دى غريبة , تبقى عارف الحاجة ومش عاوز تعملها وكأنك معتقد ان البلاوى بتصيب غيرك وتخاف منك , وأحيانًا بننسى أو بتجيلنا المصيبة قبل ما نمهد لها , فى النهاية كله مكتوب بس ربنا أعطاك حرية الإختيار وانت مُخَيَّر مش مصيَّر , تقدر تبعد عن الشر بمزاجك وتقدر تعمل الخير بمزاجك , ولو ربنا كان كاتب كل شىء وانت ملكش فيه إرادة ما كانش فكَّرْنَا بفعل الخير وقال إن الحسنات بتمحى السيئات , وانت تقدر تبطل التدخين دلوقتى لو حبيت , فبلاش نبرر لنفسنا ونرمي أخطائنا على نفس الشماعة اللى اتقطم وسطها من كتر الحمل .

نظرت لها وما زالت السيجارة فى يدى:

- هحاول

- شكرا يا شريف

- على ايه ؟

- انك رجَّعْتلى هشام , حتى لو كانت ذكراه بس اللى رجعت , كفايه انى عرفت انه عمره ما حب غيرى وعمره ما خاننى , انت ما تعرفش أنا كنت بتعذب ازاى كل يوم وكل دقيقة من يوم موت هشام , بسأل نفسى فى اليوم ألف مرة , ليه هشام يخونى , و قصه الحب اللى بيننا دى كانت كلها وهم ولا حقيقة .

ثم نظرت لى بابتسامة :

- شكرًا بجد

ربتُّ على يدها بابتسامة خفيفة , وعدت لأخاديد عقلى أترجاها التذكر ....

***

" تليفونك بيرن يا شريف "

" شريف "

انتزعتنى أمانى من أفكارى المشوشة حتى أننى لم أنتبه لرنين هاتفى , أسكتُّهُ ووضعته فى جيبى مرة أخرى

- رقم غريب سيبك منه أنا هقوم امشى

استوقفتنى أمانى :

- تمشى فين بس يا شريف مش لما نلاقى حاجة الاول

- ما احنا لو قعدنا من هنا للسنة الجاية مش هنلاقى حاجة , أنا أصلًا مش عارف احنا بندور على ايه , أنا هقوم امشى وانتى تعالى معايا أحجزلك فى أى فندق تباتوا النهارده وتبقوا ترجعوا اسكندرية بكره

أجابت أمانى بتحدى :

obeikandl.com

- مش هرجع يا شريف غير لما نلاقى اللى بندور عليه

ابتسمت بتهكم :

- طيب لما تلاقى ابقى رنى عليا أنا ماشى , هتيجى تباتى فى فندق ولا أسيبك فى بيت الاشباح دا

ابتسمت فى هدوء :

- لأ هروح فندق لحد ما أنضف البيت وبعدين دا مش بيت أشباح دا بيت عاش فيه قصة حب عمرك ما هتشوفها يا فرفور بس اهو النصيب بقى

- طيب يلا يا رومانسية هاتى الواد وخلصينا

رن هاتفى مرة أخرى ولكنى تجاهلته كالعادة واستقللنا السيارة لأقرب فندق حتى تستطيع أمانى مبيت ليلتها بهدوء , دخلنا الفندق وحجزنا غرفة تتسع لكليهما

- أنا همشى أنا بقى مش عايزين حاجة

ابتسمت أمانى وهى تصافحنى :

- لأ يا شريف كتَّر خيرك ,خلى بالك انت بس من نفسك

طمأنتها وأنا أذهب للسيارة استعداد للرجوع إلى البيت حين رن هاتفى مرة ثالثة ورابعة بنفس ذلك الرقم الذى أصر صاحبه على إزعاجى ,

أدرت محرك السيارة ولوَّحت لهم من بعيد وانطلقت وأنا ممسكًا ذلك الهاتف اللحوح لأعرف من يريد محادثتى بهذا الإصرار

- ألو مين ؟

- ازيك يا شريف

أوشكت أن أصدم السيارة التى أمامى حين انتبهت فى اخر لحظة وضغطت فرامل السيارة مصدرًا صوت صرير عالى

- أميرة !!!

لم أنس هذا الصوت يومًا , سنوات مرَّت على سماعى له آخر مرة ولكنه حُفر فى ذاكرتى بإتقان , أوقفت السيارة فى أحد جوانب الطريق وأوقفت معها نبضات قلبى حتى لا تلهينى عن سماع صوتها

- ازيك يا أميرة

أتانى صوتها الهادئ :

- لسه فاكر صوتى

- لونسيت صوتك هفتكر ايه

ضحكت بعذوبة :

- لسه كلامك حلو زى مانت

obeikandl.com

- انتى أحلى بكتير

لم أشعر بنفسى إلا وأنا أحادثها كما كنت سابقًا , لكنى تذكرت انها الآن سيدة متزوجة ولم يعد لى حق فيها , فآثرت الصمت حتى لا تفضحنى نبراتى

- انت عامل ايه دلوقتى يا شريف

شعرت بريبة من سؤالها :

- كويس الحمد لله

- طبعًا انت مستغرب مكالمتى

أردت إخبارها أنى أنتظر هذه المكالمة منذ سنوات ولكنى أسررتها فى نفسى كغيرها

- بصراحة مستغرب

- إيهاب اتصل بيا وقالى انك تعبان ما حستش بنفسى إلا وأنا بتصل بيك وزى ما توقعت لقيتك ما غيرتش رقمك

كم يقتلنى الحنين إليها , كم أشتاق لضمها , لتنفس عبيرها , لا تعلم كم من الأيام انتظرتها , رفضت حتى تغيير رقمى فى انتظار حديثها , بحثت عنها فى أماكن لقائنا القديمة لعلّى ألقاها صدفة , بحثت عن ذكراها داخلى كى أحيا بها

obeikandl.com

- شريف ؟ انت مش بترد عليا ليه

تلجلجت حين استدركت عدم ردى واكتفائي بسماع صوتها :

- معلش يا أميرة كنت بعمل حاجة بس

أتانى صوتها حزينًا:

- أنا اسفه لو كنت اتصلت فى وقت مش مناسب

أجبتها مذعورًا :

- لالالا خالص انتى تتصلى فى أى وقت

ضحكت بعذوبة :

- ربنا يخليك

كانت فى الأمس القريب " ربنا يخليك ليا " لكن اليوم أصبحت بلا معنى

- يعنى انتى اتصلتى بس علشان إيهاب قالك انى تعبان

لم تجب ولم أنتظر إجابه فأنا أعلم أنه لا يوجد أى داعى لاتصالها غير شعورها بالذنب فحاولت الثأر لنفسى ولبقايا عزتى .

- عمومًا ما تقلقيش عليا أنا كويس جدًا كانوا شوية صداع تاعبينى بقالهم فترة والدكتور اقترح عليا أعمل تحاليل والحمد لله طلع مفيش

obeikandi.com

أى حاجة , حتى أنا رجعت الشغل تانى , اخويا الله يرحمه اتوفى وأنا اللى ماسك الشركة والشغل كله على دماغى مش فاضى حتى استحمى

ضحكت وسمعت رنينها فى قلبى مرة أخرى :

- طيب استحمى بقى لحسن الريحة جايه لحد هنا هههههه

- اه عارف ما أنا اللى باعتها هههههههه

ضحكت وضحكنا معًا , اختلسنا دقيقة من الزمن عدنا بها للوراء , ذهبنا للجامعة ولقصة حبنا ولقائنا ومزاحنا وضحكنا , لكن أراد الزمن الانتقام من ذلك المقتحم الذى يشعر بنشوة الإنتصار فسمعت ذلك الصوت

- ماما

صوت طفولى أسمعه يردد تلك الكلمة , أخرجنى من أحلامى وأسقطنى فى كابوسًا من ذلك النوع الذى يُشِلّ أطرافك

- صوت مين دا يا أميرة

شعرت بذلك الإرتباك واللجلجة , أعرف ذلك الشعور جيدًا عندما يظهر ما أردت إخفائه

- دا .... دا

لم أدعها تكمل جملتها , أكملتها أنا ووفرت عليها عناء الشعور بالذنب

- دا شريف ابنك ... صح؟

تغيرت نبراتها إلى الإندهاش :

- انت عرفت ازاى , وعرفت ازاى ان اسمه شريف

ضحكت قائلًا :

- شوفتها فى كل الأفلام العربى والمدبلجة

أكملت أنا حتى لا أسمع صوتها مجددًا فيلين قلبى وألعن نفسى :

- عمومًا يا أميرة أنا متشكر جدًا ع المكالمة الجميلة دى وهسيبك بقى تشوفى ابنك لو عايز يغير البامبرز ويمكن كمان جوزك جاى من الشغل جعان ويلاقيكى بتكلمينى يعمل معاكى مشكلة

- اوك يا شريف و ابقى طمنى عليك

- ان شاء الله , سلام

- سلام

أنهيت محادثتى التى انتظرتها بترقب وتألُّم وكأنها الخلاص , أفنيت سنوات من حياتى أنتظر أن أراها مجددًا أو أسمع صوتها فتُعيدُ لىَ الحياة , ظننت أنها هى من كانت تعطى قلبى خفقانه , ظننت أنها أكمل نساء العالمين والباقى جوارى قصرها المكنون , لكنى الآن أشعر بلا شىء

, لا شيء مما سبق حقيقة , فهى كباقى النساء , صوتها جسدها قلبها كل مافيها ليس أكثر من أى أنثى .... ليس أكثر من نهلة

أتمنى الآن أن أعود للوراء حتى أمحو أيامًا وشهورًا وأعوامًا مرت هباءً , مرت بمرارة الإنتظار وتقرُّح القلب , لكن من اليوم أستطيع أن أصحح ما أخطأت فيه , أميرة الآن زوجة وأم وملكية رجل اخر شاطرها أحلامها وحياتها وعمرها وقلبها وحتى مرقدها ولم تعد تلك الفتاة صاحبة النصف الثانى فى قصة حبى الفانية , أما أنا فلدىَّ الآن حياة جديدة وقلب جديد يعشقنى ..... وأعشقه .

***

الساعه 11 مساءً.

فى طريقى لمنزلى وزوجتى المُنْتَظِرَة ..

فكرت أن أفاجئها اليوم ونتناول عشائنا فى أحد تلك المطاعم المشهورة ذات الطاولات المزينة بالشموع , والأكل الشيك الغير مُشْبِع تمامًا و الجرسون المهذب الذى لا يلقى الأطباق فى وجهك إن تزمرت , ولعلها ساعات ممتعة أقضيها مع زوجتى وأستشعر كونى زوجًا صالحًا " كما قال الكتاب " .

اتصلت بنهلة وأخبرتها أن تستعد حتى آتى وأصطحبها للمطعم , كان قد تبقى حوالى نصف ساعة حتى أصل منزلى وسط زحام الطريق وأفعاله الشنعاء , وأعلم أنى سأقف من ثلاث إلى خمس ساعات إضافيه حتى

تنتهى زوجتى من وضع بعض الرتوش البسيطة التى فى معجم كافة النساء " ما بتاخدش غير خمس دقايق " ولكننى بما أننى قد انتويت أن أكون زوجًا صالحًا فلن أعترض ولن " أمد بوزى " .

- قمر

خرجت من فمى لا إراديًا عندما رأيتها , ارتدت فستانًا زهريًا كـ لون السماء الصافية فى ليلها القمرى , رُصِعَت أركانه ببعض الكريستالات التى أضفت عليها بريقًا يخطف الأبصار , وحذاءً فضى كلما خطت به تناغمت صوت دقاته مع دقات قلبى المسكين , كيان أنثوى يُعْمِى العقول والأبصار

ابتسمت فى خجل :

- شكلى حلو

- حلو ؟ دا أنتى احلى من محاسن الحلو ذات نفسها

ضحكت بدلال أنثوى وهى تضع يدها فى خصرها :

- طيب مش هتفتح لى باب العربية زى الأفلام بقى ولا ايه

تذكَّرت أننى ما زلت أقف أنا وهى أمام البيت ففتحت لها الباب منحنيًا:

- اتفضلى يا برنسيسة

صعدت بقدمها الرقيق و صعدت أنا الآخر وبدأت رحلتنا الرومانسية :

- شريف

- عيون شريف

- بتحبنى

- جدًا جدًا

- أول مرة تطلع منك بالسرعة دى

- علشان أول مره أحس انى عندى قلب بيحب

- طيب وقبل كده

- صدقينى عمرى ماكرهتك أو حبيت واحده عليكى , الفكرة كلها إنى ما كنتش حاسس بيكى زى دلوقتى

- وايه اللى خلاك تحس بيا

- يمكن فتَّحت , ويمكن بدأت أحاسب نفسى , ويمكن اديت نفسى فرصة أحب

- يعنى ايه ؟

- يعنى بصراحة كده فكرت فى حياتنا وقد ايه كان فيها فتور وتقصير من ناحيتى و بدأت أحاسب نفسى بدل ما أحاسب غيرى , وقتها حسيت

obeikandl.com

انى مقصر من سنين مش بس من يوم ما اتجوزتك لكن يمكن من يوم ما إتولدت وأنا مقصر مع الناس كلها

استطردت وأنا أنظر لعينها :

- وعيشت تجربة ناس أعرفهم ما لحقوش يعيشوا قصة حبهم ولا يكملوا رحلة بدأوها وكان القدر أقسى عليهم , خفت أكرر التجربة , خفت أفقدك أو تفقدينى وبعدها أندم , فقولت لازم أحاول

نظرت ناحية الطريق مبتسمًا وأنا أغمز لها :

- بس مكدبش عليكى المحاولة كانت اييييييييييييه عنب

ضحكت نهلة وأسندت ظهرها للخلف وأغمضت عيونها كمن اكتفى بهذا الكلام عشقًا ..

***

فى المطعم ..

جلسنا على إحدى تلك الطاولات التى تسع شخصين , اخترنا طاولة تُطِلُّ على البحر فى مكان مفتوح حتى نستنشق الهواء ونستمتع بالوجه الحسن , حضر الجارسون :

- تحت أمركم , تحبوا تطلبوا ايه

نظرت لنهلة :

obeikandl.com

- تحبى تاخدى ايه ؟

- امممممم هاخد اسكالوب , وانت ؟

- امممممم أنا قولتلك قبل كدا انى مبحبش الإسكالوب

- لا والله مقولتليش

- يبقى هاخد اسكالوب

ضحكت نهلة :

- طالما مبتحبوش هتاكله ليه

- علشان بحبك انتى وما ينفعش أحب عليكى حاجة تانية

الجارسون بإحراج :

- إحم إحم

ضحكت نهلة وأمالت رأسها للأسفل بينما ضحكت أنا متداركًا الموقف:

- خلاص ياعم انت داخل المراحيض ضيَّعت علينا الكلمتين الله يسامحك , هات ياعم اتنين اسكالوب وخلى السكر بره الله يباركلك

ابتسم الجارسون وانصرف وعدت أنا لحوريتى الجميلة :

- بحبك

obeikandl.com

- أخيرًا

- كان نفسى أقولهالك من زمان , بس كنت مستنى أحسها زى دلوقتى

- انت ما تعرفش أنا كمان دلوقتى بحبك قد ايه

- أسف لو فى يوم وجعتك

سقطت دمعة على خدها الرقيق :

- أنا اللى اسفه , اسفه أوى

- اسفه على ايه ؟

- اسفه على أى حاجة وكل حاجة

- حاسس انك مخبية عنى حاجة

- هخبى عنك ايه

- مش عارف بس حاسس

نظرت نهلة إلىَّ فى حب :

- انت ليه بقيت كده

- علشان حبيتك

- وليه ما كنتش كده

obeikandl.com

- علشان ما كنتش حبيتك

- وليه ما عملتش من بدرى كده

- علشان غبى , عطشان وقدامى كوباية ميه ساقعة سيبتها وروحت رميت نفسى فى بحر ناشف

- ياريتك مديت ايدك من بدرى

- كان هيحصل ايه

- كنت أنا وانت شبعنا

اقتربت منها أكثر وأنا أهمس :

- ملحوقة , مستعد أمد إيدى دلوقتى

ضحكت نهلة وهى تمسح دموعها وردت هامسة :

- وأنا هرفع عليك قضية تحرش بالأنثى

عدت بظهرى للوراء :

- و هى فين الأنثى دى

أمسكت نهلة بقميصى :

- نعم يا خويا

obeikandl.com

- خلاص خلاص احنا اسفين يا صلاح

اقتربت منها أكثر هامسًا وأنا أنظر لها بلهفة :

- ياباشا دا إنت الأنوثة كلها , بس لما نروح البيت وأنا أشرحلك وجهة نظرى مُفَصَّلَة

ضحكت نهلة رغم دموعها التى لا تتوقف ,واستطردت أنا :

- صحيح يا نهلة انتى ما حكيتيليش أبدًا عن حياتك قبل جوازنا , أو أنا اللى ما كنتش بسألك, أنا دلوقتى بقى يا ستى عاوز اسمع منك كل حاجة

أجابت نهلة كمن لا يتوقع سؤالى :

- أنا كنت عايشه مع ماما برا مصر وكنت بشتغل فى شركة بابا , شركة استثمار عقارى , ولما ماما اتوفت بابا اتجوز وأنا طلبت منه إنى أنزل مصر وابدأ حياتى هنا لإنى مش عايزه أكمل برا , نزلت واشتغلت فى البورصة اللى أنا فيها دلوقتى وشُفْتَك فى فرح إبراهيم صاحبك , بصراحة شدّتنى من أول نظرة وفرحت لما لقيت طنط خالتك بتفاتحنى فى موضوع الإرتباط , بس ياسيدى واتخطبنا شهرين واتجوزنا , تحب تعرف ايه تانى؟

ابتسمت :

- لا كده تمام , مع إنه كلام قليل أوى بس أوك

- وانت يا شريف عارف تدير شركة والدك ازاى مع إنها تخصص فى غير مجالك خالص

نظرت لها بشرود :

- والله يا نهلة أنا دخلت تجارة مخصوص علشان ما أشتغلش فى الشركة دى بالذات لكن النصيب بقى خلّى الدنيا تلف وابقى أنا المسئول الوحيد عن شركة أبويا بعد وفاته ووفاة هشام , ما بقاش ينفع أغسل إيدى لانها الحلم اللى أبويا عاش عمره كله يبنى فيه واللى أخويا كمّله بتعبه وعمره وأنا مضطر أحب الشغل فيه غصب عنى , فأنا بديرها على قد ما أعرف مؤقتًا وفيه ناس قديمة بتساعدنى وبالنسبة للأدوية نفسها احنا لينا معامل بتحللها وبتطلع لى اللى ينفع منها وبتتعامل معايا ببساطة من غير تعقيد ولا مصطلحات مكلكعة لأنهم عارفين ان معلوماتى الطبية قليلة ومعايا دكاتره أصحاب بابا كمان بيساعدونى واهى ماشية .

استطردت بحزن :

- لولا ظروف تعبى كنت اتقدمت بالشركة دى وبحياتى معاكى لكن يادوب هى ساعات قليلة اللى ببقى مركز فيها والباقى مسجون بين الصداع والنسيان وقلة التركيز

تنهدت بعمق :

- كان نفسى أعوضك بجد يا نهلة بس يادوب بحاول على قد ما أقدر

سقطت تلك الدموع مرة أخرى قبل أن أستطرد محاولًا تغيير دفة الحديث :

- يووووووه نسيت اخد العلاج , ناوليني كوباية الميه اللى جنبك يا نهلة لو سمحتى

ابتسمت نهلة فى حنان وأزاحت كوب الماء :

- النهارده أنا اللى هعالجك , أنا دواك

ابتسمت وأنا أحاول التقاط كوب الماء :

- معلش يا نهلة والله أنا تعبان فعلًا ما يغركيش شوية الكلام اللى حافظهم من الأفلام دول , أنا كل حته فيا بتوجعنى والله , بحاول ما أفكرش بس تعبان أوى بجد

أمسكت نهلة يدى وقبَّلَتها فى حب :

- شريف أنا ...

- انتى ايه ؟

انزلت رأسها للأسفل والدموع تتساقط :

- أنا بحبك ....

***

obeikandi.com

فى اليوم التالى الساعة الثامنة صباحًا

أيقظنى رنات هاتفى المتلاحقة , التقطته من جانبى كُرْهًا لكنى خشيت إن حدث مكروه لأحد , وجدتها أمانى تتصل بلا انقطاع , أجبت عليها وأنا مغمض عينى وبصوت نائم

- والله العظيم لو ما بطلتى رن لاحذف رقمك من عندى

ضحكت أمانى :

- قوم ياعم الكسلان عندنا شغل وتدوير ولغز عايزين نحله

تثائبت بكسل :

- وحياه أبوكى لو هتعيشيلى فى دور المفتش كرومبو دا يبقى روحى دوَّرى مع نفسك , أنا واحد عايز أنام وما بصحاش دلوقتى سلام

- استنى بس يا شريف رايح فين

- يابنتى عايز أنام أنا ما نمتش غير الفجر

- وايه اللى خلاك صاحى لحد الفجر

- أأأأأ مش موضوعنا

- طيب قوم بقى لاجيلك واصحّى نهلة وأقولها انى قفشتك فى أحضان بائعة هوى

- ياستى لا بائعة هوى ولا بائعة لب حتى أنا عايز انااااااااااااااااااااام

- قوم بقى يا شريف بلاش رخامة أنا مستنياك فى المطعم اللى جنب شقتنا فى التجمع متتأخرش , اه وبلاش تسهر للفجر تانى حاكم السهر مُضِرّ بالصحة هع هع

- والله ما فى أرخم منك ماشى جاى

أغلقت الهاتف وأنا أصُبّ لعناتى على النساء جميعًا وعقولهن المتآكلة

- هنعمل ايه دلوقتى

انتزعتنى أمانى من غفوة قصيرة أخذتُها وأنا جالس أمامها فى المطعم , أجبتها بنفاد صبر:

- مش عارف ومن الآخر مش فاكر أى حاجة غير اللى قلتهولك ولا حتى شوفت هشام تانى تحبى أروح أقف قدام الهرم فى ليلة القمر فيها بدر واستدعى روحه إنها تطلع من ضافر أبو الهول الكبير علشان يقولى سره ايه واخلص

طرقعت نهلة بأصابعها و كأنها تذكرت شيئًا هامًا

- يخرب بيت ذكائك تصدق يا شريف انك فكرتنى بحاجة مهمة جدًا كنت ناسياها , فاكردكتورة تيسير

التفت لها وأنا أحاول التذكر

- دكتورة تيسير مين ؟

- اللى كانت ساكنه جنب شقتكم القديمة قبل ما تاخد لطنط شقة قريبه منك بعد وفاة عمو , يا ابنى شقتكم القديمة اللى كانت فى المعادى

- ايوه فاكر الشقه أنا ما فقدتش الذاكرة للدرجة دى

- هههههه ضحكت أمانى

- طيب فاكر بقى دكتورة تيسير اللى كانت جنبكم وكانت عامله دكتوراه فى الحاجات الغريبة اللى بتقول عليها ماوراء الطبيعة

- آآآآآآه الست الكئيبة اللى ما كانتش بتبتسم دى

- هههههه أيوه هى دى

- مالها بقى

- نروح نسألها

- على أيه

- على اللى شفته يا شريف ماتركز معايا

- تفتكرى التخاريف دى ليها معنى

- دى مش تخاريف دى حقيقة وأنا متأكده إنها حقيقة

obeikandl.com

- طيب طالما انتى متأكده اوى كدا روحلها انتى

نكزتنى فى كتفى :

- يا شريف بطل كسل وقوم نروحلها

- أنا مش عارف ايه اللى فكرك بالوليه دى دلوقتى

شردت أمانى :

- والله يا شريف مش عارفه بس جت فى بالى فجأه زى ماتكون تايه وفجأه تلاقى لوحه ترشدك للطريق

- دا انتى قلوده اوى هتموتى وتبقى زيى وخلاص

ضحكت أمانى :

- طيب والله انت رخم , أنا بتكلم بجد يا شريف انت مش مصدقنى

- مصدقك طبعا اذا كنتى انتى مصدقانى يبقى أنا مش هصدقك

- بس انت رايق النهارده ماشاء الله زى ما يكون حصل حاجة مفرحاك

ابتسمت وأنا اغمض عينى واعود بظهرى للوراء :

- حاسس انى مرتاااااااااح

- طيب ياعم الحمد لله انك مرتاح هوا دا اللى احنا عايزينه

obeikandl.com

- تصدق نسيت اسئلك على يوسف , أنا ازاى نسيته كل دا

ضحكت أمانى وهيا تشير ناحيه ملاهى اطفال فى الدور الاول من المطعم :

- نسيته علشان انت تايه ودا الطبيعى بتاعك , الولد تحت بيلعب ياعم المسطول

- طيب قشطه

عدت بظهرى للوراء لأخذ غفوه اخرى :

- ياشريييييييييف

- الله يقطع شريف وسنين شريف , ماتسبينى انام بقى ياأمانى

- مقولتليش بقى هنروح لتيسير ولا هنعمل ايه ؟

نظرت لأمانى فى استسلام :

- مفيش قدامى غير انى أروح لها ومش بعيد بعد كده تلاقينى بلف على الدجالين والمخاويين وأنا ماسك ديل عرسة متطلقه وقفا برص جعان يمكن ألاقى عند حد فيهم سبب أو تبرير يقنعنى أو حتى ضحك عليا

- طيب يلا بينا

obeikandl.com

- يلا بينا فين ياحاجة الدنيا ليلت خلاص هو احنا ناقصين تلبيش , خلينا بكره أحسن من أول النهار , روحى انتى باتى عند ماما النهارده واوعى توقعك فى الكلام وتحكيلها أى حاجة , وبكره انزلى وسيبى يوسف معاها , الواد غلبان مش عاوزينه يقطع الخلف

قطبت أمانى حاجبيها وأجابت باستنكار :

- انت هتشتغلنى يا ابن سيف الدنيا ليلت ازاى يعنى والظهر لسه ما أذنش حتى

أجبتها ساخرًا وأنا أنهض من مقعدى :

- لاالالا طالما بقى هنخش فى الأباحة وقلة الادب فأنا مضطر انسحب بهدوء واحتفظ بما تبقى من كرامتى , سامو عليكو

لم اشعر بنفسى إلا ويد باطشة تجتذبنى من ياقة قميصى الخلفية :

- بقولك ايه أنا مش فاضيه للعب العيال ده , روح دوَّر العربية على ما أجيب يوسف نوديه عند ماما ونطلع على تيسير لحسن أمسمرك فى الكرسى ده

رفعت يدى مؤديًا تحية العلم :

- تحت أمرك يا كبير ثوانى وتكون العربيه جاهزة

انصرفت وسط ضحكات أمانى , أدرت محرك السيارة وأحضَرَت هى يوسف وانطلقنا :

- بقولك ايه هستناكى على آخر الشارع علشان ماما ما تشوفنيش , قوليلها انك لسه جايه من اسكندرية و هتنزلى تشترى حاجات وسيبى يوسف عندها ونطلع على الست اللى بتقولى عليها دى بس على الله يكون عندها حاجة تنفعنا

ردت أمانى بحماسة :

- إن شاء الله , أنا حاسه ان عندها كتير ما أعرفش ليه بس طالما افتكرناها فى عز أزمتنا يبقى أكيد دى رساله انها هتفيدنا

استطردت بحزن :

- ياريت .

نظرت ليوسف متبتلًا إياه ألا يخبر أحدًا الحقيقة :

- يوسف ياحبيبى

- ايوه ياعمو

- اوعى ياحبيب عمو تقول لتيته أى حاجة من اللى سمعتها ولا تعرَّفْهَا انكم جيتوا امبارح

ابتسم يوسف

- ما تخافش يا عمو وراك رجالة

قلبت شفتاى وأنا أعيد النظر للطريق :

- طيب ربنا يستر

اتجهنا لتلك السيدة المجهولة وقى عقلى تدور الأفكار وتتزاحم , هل سأجد عندها ما ما أنشده ..

***

انتظرت أمانى فيما يقرب من الساعتين حتى تعطى يوسف لأمى وتعود

حضرت أمانى مبستمة وكأنها لم تفعل شىء

- لسه بدرى يا أم يوسف

ضحكت أمانى :

- معلش يا شريف انت عارف مامتك كانت بتطمن عليا وعلى يوسف وكده

- ماشى هعديها

وصلنا بيتنا القديم , كما هو لم يتغير , باستثناء ذلك الفراغ القاتل والجوانب الخاوية التى ألمت به وأضافت عليه فتورًا وكئابة

نظرت لتلك العمارات التى تحاوط بيتنا وكأنها تحاول تعويضه عمَّا فقده من حب والتحام ودفئ وبرغم فشلها لكنها أبت الانسحاب , آثرت البقاء لعل فيها فائدة

تمنى أبى يومًا أن يصبح هذا البيت صرحنا العظيم الذى لا يهوى أبدًا , لَكَم تمنى أن أتزوج أنا وأخى وننجب أطفالًا رائعين كتلك التى تظهر فى إعلانات بامبرز , وتكبر الأطفال لتكون عونًا ومؤنسًا للعجائز, ولكن (كان صرحًا من خيالى فهوى) .

- هو ده بيتها

أشارت أمانى إلى منزل بجانب منزلنا الخاوى ولكنه أحدث منه قليلًا , النوافذ مغلقة , الستائر مغطاة وكأنها تعاقب الشمس على ظهورها اليوم , هيئته لا توحى بأن هناك عقلاء يعيشون فيه .

نظرت إلى أمانى متعجبًا :

- هو فيه بنى آدمين عايشين فى بيت دراكولا ده

ابتسمت أمانى وجذبتنى عنوة للدخول إلى المنزل , وأُكَرِّر " عنوة "

صعدنا درجات سلم منتهية الصلاحية حتى وصلنا للباب وقرعنا الجرس وأنا أتمنى ألا يجيب أحد ولكن خاب رجائى حين سمعت صوتًا أقرب للذكور منه للإناث

- طيب طيب مش قاعده جنب الباب أنا

نظرت لأمانى نظرة مفتش الضرائب حين " يقفش " متهربًا

- ما لقيتيش غير الدكر دى

وقبل أن ترد أمانى للأسف انفتح الباب وظهرت أمامى دكتورة تيسير ويشهد الله أنها لا تمس اليسر فى شىء

ملامح باردة , نضارة " كعب كوباية " شعر " كنيش " وكأن اينشتاين بُعِثَ من جديد , أسنان تفارق بعضها , أنف منتفخ , وشفتان غليظتان

- نعم , انتوا مين

ترفَّعْتُ أن أرد واكتفيت بالنظر لها باشمئزاز , فأسرعت أمانى بالإجابة قبل أن تلتهمنا " أمنا الغولة " :

- احنا نعرف حضرتك يا دكتورة بس حضرتك ما تعرفيناش

- وتعرفونى منين ؟

أردفت أمانى مبتسمة :

- كنا ساكنين جنب حضرتك بس أكيد مش هتاخدى بالك مننا

نظرت هذه الدكتورة لأمانى فى نظرة لا مبالاه وقالت بنبرة ضجر :

- آه يعنى عايزين ايه ؟

هنا انفجر غيظى وانفرجت شفتاى وكأنها لا تنصاع لأمرى حين رمقتها بنظرة عصبية وتحدثت لأول مرة :

- احنا هنقف نحكى ونتعرف ع الباب

رمقتنى بنفس النظرة :

- وانت مين بقى أصلًا

تمتمت فى نفسى :

- الله يخرب بيت الزهايمر على بيتك يا بعيدة وانتى شكل أهلك يسد النفس

ونظرت لها متحدثًا بصوتٍ أعلى تحسبًا للصمم الذى يصيب منتهى الصلاحية أمثالها وبنبرة غضب وعصبية واضحة :

- أنا شريف سيف الدين ابن الدكتور سيف الدين الشوربجى , وكنا ساكنين جنب سيادتك والحمد لله نقلنا من المنطقة خالص .

كنت متأكد أنها لن تتذكرنى لأنها لا تعرفنى أصلًا وليس لها علاقة بباقى الجيران وكمثل باقى الساحرات الشريرات ليست معتادة على الحديث أو التودد لأحد , لكنها نظرت لى كمن يعرفنى أو تذكرنى أو أخيرًا وجدنى , ففَتَحَت عيناها على متسعها وتهللت ملامحها فجأة ثم ألقت إلىَّ جملة كان وقعها أفزع وأعنف وأقسى من سابقاتها بكثير .....

قالت بصوت هادئ ورتم بطيء :

- شريف سيف الدين

نظرت لها متعجبًا :

- ايه .. تعرفينى ؟

فابتسمت قائلة :

- هشام بلغك رسالته

لم أستطع وصف ماألم بى وبأمانى من فزع وصدمة حتى أننا تلعثمنا ولم نستطع الكلام جيدًا , فنظرت لها والدهشة تزلزلنى:

- انتى تعرفى هشام منين , ورسالة ايه اللى بتقولى عليها

فابتسمت لأول مرة ابتسامة حانية وتبدَّلَت ملامحها القاسية بأخرى ودودة , ودَعَتْنَا للدخول

- طيب اتفضلوا نتكلم جوا .

دلفنا المنزل بسرعة , منزل قديم أثاثه قليل لا يحوى سوى غرفتين وردهة , أبوابهم مغلقة وستائرهم مسدلة , اركانه متهالكة وألوانه باهتة وكأنه منزل لأحد مهجور تتأفف الطيور أن تعشش فيه , دخلنا ولا نطيق الانتظار , نريد أن نعرف كل ما تخفيه هذه السيدة عنا وكيف لها أن تعرف هشام وتعرف رسائله التى يرسلها لى , كدت أُجَنّ فى هذه

obeikandl.com

اللحظات الطويلة المملة , فلم أستطع الانتظار أكثر من ذلك فسألتها بعصبية :

- أدينا دخلنا , ممكن تقوليلنا بقى تعرفى هشام منين

جلست على مقعد وجلسنا أنا وأمانى على أريكة بالية فى طقم صالون عتيق ملأته الأتربة وسكنته الحشرات الدقيقة , ولكنى لم أكن أبالى بشىء إلا بإجابة لما يجول فى خاطرى

فبدأت الدكتورة بالشرح وإخراج مافى جعبتها :

- هشام جالى فى جلساتى أكتر من مرة , بيستنجد , أو بيحاول يوصل رسالة , فى الأول كان كلام مبهم مش مفهوم , بس بدأت رسالته توضح بالتدريج , لحد امبارح حلمت بيه بيقولى إسمك وبيقولى انك هتجيلى وقالى أبلغك رسالة

- رسالة ايه ؟

- قالى أقولك " خلى بالك من اخوك يا شريف "

نظرت إلى أمانى التى لم تكن أقل منى دهشة وتعجب , ثم نظرت إلى تلك الدكتورة مرة أخرى وسألتها متحفزًا :

- جلسات ايه دى اللى بتتكلمى عنها؟

- جلسات تحضير الأرواح

هنا فتحت أمانى فمها حتى كدت أرى البلعوم واقشعر بدنى حتى وقف شعره ونطقنا بصوتٍ واحد

- تحضير أرواح ؟

نظرت إلينا الدكتورة وكأننا نحن غريبى الأطوار وما قالته لا يستدعى دهشة إطلاقًا

- ايوه تحضير أرواح , عمركم ما سمعتوا عنها ..

نظرت إليها متهكمًا :

- لأ سمعت بالأمارة... سمو , علو , ارتفاع

نظرت لى باستنكار:

على فكره يا أستاذ , تحضير الأرواح ده علم ولو حضرتك ما بتفهمش فيه يبقى ياريت تسيبه لأصحابه اللى بيفهموا فيه , أو على الأقل تحترم كلامى مش تتريق عليه

حاولت أمانى تهدئة الوضع فنظرت للدكتورة باعتذار:

- معلش يادكتورة أنا متأسفة بالنيابة عنه بس لو سمحتى فهمينا الجلسات دى عبارة عن ايه وبتتم ازاى , وازاى عرفتى توصلى لهشام, حضرتك مش عارفه كلامك ده غريب قد ايه بالنسبة لنا

نظرت اليها الدكتورة وبدا عليها قبول الاعتذار:

obeikandl.com

- هقولك كل حاجة بس تقولولى الأول انتوا كنتوا جايين ليه أصلًا ؟

ردت أمانى بتردد :

- بصراحة يا دكتورة شريف بيشوف حاجات كده مش عارفين لها تفسير وجينا لحضرتك علشان تفسريهالنا

انتبهت الدكتورة اكثر :

- حاجات زى ايه

نظرت إلىَّ أمانى لأسرد تفاصيل ما رأيت لعلّى أجد عندها مبتغاى , فأومأت برأسى تفهمًا ونظرت للدكتورة غصبًا وسردت لها ما رأيت وما عجزت عن فهمه ..

تركتنى الدكتورة أقص كل ماعندى وحين انتهيت لم تبدى أدنى آيات التعجب كما ظننت ولكنها ابتسمت تفهمًا وقالت:

- هتسمع منى , ولا مش هتصدق فأوفر على نفسى واسكت .

أجبت بهدوء :

- مضطر أصدق , معنديش حل تانى

اسندت الدكتورة ظهرها للوراء وهى تنظر إلىّ ثم استطردت شارحة :

- بالنسبه للحلم اللى شفته وانت فى العمليات والتفاصيل اللى شفتها واتأكدت انها حصلت فعلًا , ده مش حلم بالعكس ده واقع , ودى تجربة انت مريت بيها بتتسمى فى علم الميتافيزيقا أوعلم ماوراء الطبيعة " تجربه الخروج من الجسد " أو الـ "OBE"

ودى تجربة غالبًا ما بتحصل فى تجارب القرب من الموت Near Death Experience , ودى بتحصل لما الشخص يتعرض لحادثة مثلًا أو عملية جراحية أو أزمة قلبية أو نوم عميق أو غيبوبة أو حتى تحت التخدير , والخارجين من الجسد دول بيكونوا واعيين بكل اللى بيحصل فى العالم الحقيقى في الوقت الحقيقي. والخروج من الجسد ده بيختلف عن حاجة اسمها الإسقاط النجمى وده بسبب ان الرؤية اللى بتشوفها بتبقى فى نفس وقتها لكن فيه رؤى تانية بنسميها الرؤى المستقبلية ودى اللى بتشوف فيها حاجة لسه ما حصلتش وتتفاجئ انها حصلت زى ماشوفتها بالظبط , ودى بتحصل مع ناس كتير أوى أوى اللى بتلاقيهم يقولولك أنا حلمت حلم واتحقق بحذافيره , وفيه رؤى تانيه بتشوف فيها لمحات من الماضى لغرضٍ ما .

وفيه سببين رئيسيين علشان تحصل عملية الخروج من الجسد : أولهم لما يكون الشخص ده قُرَبّب من الموت أو معتقد ده , والسبب الثانى إن الشخص ده بتكون عنده مراكز الطاقة نشيطة يعنى زى ما بنقول عليها بالعامية نجمه خفيف ومستعد للحاجات الغريبة اللى زى دى .

وعلى فكرة التجربة دى مش لازم تمر بيها غصب عنك , دا فيه مراكز بتدرسها وتمرنك انك تعملها كمان .

نظرت أمانى وكأنها لم تستوعب شيئًا ولم يكن ما فهمته أكثر منى فى شىء , فلاحظت الدكتورة نظرة البلاهة على وجوهنا فاستطردت بشرحٍ أكبر:

- الميتافيزيقا أو علم مارواء الطبيعة , ده علم بيبحث فى الظواهر الغريبة والغيبيات اللى الإنسان ما يعرفهاش , أو مر بيها لكنه مش فاهمها ومنها تجارب الخروج من الجسد

اترصدت حالات كتير جدًا لناس من كل حته فى العالم مرّوا بتجربتك دى , شافوا نفسهم وكأنهم روح بلا جسد واقفه قدام جسد بلا روح وكأن روحهم انسلخت عن جسمهم شافت كل حاجة جسمهم ما شافهاش ورجعت الجسم تانى .

وانت لما كنت فى العمليات وقرَّبت من الموت زى ما حكيتلى , كان دا وسط مهىء لخروج الروح نهائيًا وإن حضرتك تموت إلا انك رجعت تانى للحياة فعادت الروح معاك بعد ما خرجت للملكوت وشافت باقى الأرواح اللى كانت هتنضم ليهم ومنهم روح أخوك هشام اللى كانت بتحاول توصلّك بأى شكل علشان تنبهك من شىء أنا لسه لحد دلوقتى ما أعرفهوش , وبعد كده بدأت الأحلام تأكد عندك فكرة ان فيه حاجة لازم تفهمها , رسالة من العالم الآخر مشفرة ومحتاجة تتحل شفرتها , وده دليل على رسالة هشام اللى اختارنى أوصلهالك , ويمكن تكون ليها

علاقة بالحاجة اللى زى ماحكيتلى عند زوجة أخوك بتحاولوا تلاقوها ولسه ما توصلتوش لحاجة .

- ولو هتسألنى ليه هشام جالى أنا بالذات , هقولك لإن الروح بتتميز بشفافية تقدر تخليها تستنتج اللى هيعمله الشخص بعد كده وتحاول تقرَّبُه لأقرب نقطة يقدر يبدأ عندها عن طريق علامات أو إرشادات أو حتى توجيهات وتلميحات المهم انه يوصل , والروح دى حوالينا فى كل مكان بتسمع وتشوف وأكيد هشام توقَّع إن أمانى هتقترح عليك انك تجيلى أو حتى شاف اللى هيحصل مسبقًا, علشان كده كان بيظهر لى فى جلساتى لتحضير الأرواح , كنت بسمع منه أصوات مبهمة وكلام غير مفهوم خلانى أحس ان الروح دى محتاجة مساعدة بس هى مين ولا محتاجة ايه دا اللى ما كنتش أعرفه .

مهما حاولت إبصال مدى اندهاشى وتعجبى اللذآن تناوبا نهش عقلى , لن تسعفنى كلماتى

استطردت الدكتورة قائلة :

- الأرواح عالم كبير وبير غويط اللى يدخله ما يعرفش يخرج منه واللى يحل ألغازه يشتاق للغز جديد , والشاطر بس هو اللى يفهم الإشارات

ثم نظرت إلىَّ مستطردة:

- انت نزلت البير غصب عنك , بس م تنكرش انك حبيته , ومش عاوز تخرج منه غير لما تحل اللغز, ويمكن ما تحبش تخرج خالص

أجبتها باستسلام :

- بقولك ايه , أنا يمكن لا فاهم ولا مقتنع بكل الهرى اللى فات ده , بس مفيش قدامى غير إنى أصدقك , هنعمل ايه دلوقتى ؟

أردفت بسرعة وكأنها كانت تنتظر السؤال :

- لازم نعرف هشام بيحذرك من ايه ؟ , وايه السر اللى بينه وبين والدك و كان يقصد ايه برسالته اللى اختارها بالذات علشان يوصلهالك " خلى بالك من أخوك " , وعلشان كده انتوا هتشاركونى الجلسة الجاية يمكن نقدر نوصل لحاجة .

سألتها مستنكرًا :

- بس احنا لحد دلوقتى لسه ما عرفناش ايه هى جلسات تحضير الأرواح دى ؟

شبكت الدكتورة يداها وضمتها لصدرها وبدأت ف الشرح بطريقة مسرحية قديمة :

- تحضير الأرواح بدء أول مره في أمريكا سنة 1848 م وبعد كده انتشر فى أوروبا والعالم كله واتألف فيه كتب واتعمل عليه أفلام وأصبح علم بيتدرس في بعض الجامعات.

وفكره تحضير الأرواح فى المجمل أساسها هو إمكانية السيطرة على الروح بعد موت الجسد وإمكانية استحضارها في أى وقت علشان

تحكيلنا عن حالها في عالم الأرواح و عن الأحداث اللي حصلت لها في الدنيا سواء في الماضى أو حتى فى المستقبل!!....

وأردفت وهى تنظر لنا :

- جلسة تحضير الأرواح دى هى محاولة للتواصل مع أرواح الموتى

وقبل أن أسأل , أشارت بإصبعها وكأنها استنتجت السؤال :

- مش أى حد يقدر يعمل الجلسات دى

نظرت إليها متسائلًا :

- وايه شروطها ؟

أشارت إلى غرفة مغلقة فى أحد أطراف المنزل :

- اتفضلوا

فتحت بابها فإذا هى غرفة صغيرة تتوسطها طاولة بيضاوية حولها مقاعد كثيرة , فى كل جانب من جوانب الغرفة كان هناك ركنة صغيرة تعلوها الشموع التى بدا من هيئتها انها أضيئت مئات المرات حتى تساقط الشمع السائل على الأرض من كثرته , و هناك عدد كبير من الكتب ذات الأغلفة العتيقة مكومة هنا وهناك , وأطباق طعام فارغة موضوعة فى أحد الأركان ,ولا يوجد بها سوى نافذة صغيرة أُسْدِلَت

الستائر عليها وكأنها تريد محو اى أثر للضوء وتجعلها كالمقبره التى لا تشرق عليها شمس .

مررت بنظرى فى الغرفه ثم اتجهت أنظارى للدكتورة متسائلًا عن تلك الشروط , فابتسمت حينما شعرت بشغفى ونجاحها فى إثارة اهتنامى , فأكملت حديثها :

- على فكرة , لو مكانش هشام جالى شخصيًا , عمركوا ما كنتوا هتشوفوا الأوضة دى ولو بعد مية سنة , بس أنا مصدقاكم علشان كده وريتكم اللى المفروض ما كنتوش تشوفوه .

اقتربت منها أمانى وسألتها متلهفة :

- طيب قوليلنا بقى الشروط

رفعت الدكتورة رأسها لأعلى واستنشقت أكسجين يكفى لأسبوع واتجهت نحو الصالون البالى فجلست مجددًا ونحن نتبعها حيث أردفت :

- أولًا : لازم يكون عدد المشاركين فى الجلسة مش أقل من 3 و يكون عددهم يقبل القسمه على 3 .

- ثانيًا : واحد من المشاركين فى الجلسه بيكون هو الوسيط الروحانى اللى من خلاله هنقدر نتواصل مع الروح , نسألها وتجاوب , والوسيط

ده بيعرف الإجابات عن طريق صور أو أصوات بتعرضها عليه الروح وكأنه بيشوف فيلم يقدر يحكيه .

- ثالثًا : لازم نقعد كلنا على ترابيزة بيضاوية ويكون عليها أكل ' أى أكل علشان تجذب الروح , ويكون عليها شموع عددهم بردو يقبل القسمة على 3 وكل ما زادت الشموع كل ما كان جذبها أكتر , لأن الأرواح بتنجذب للضوء والدفا

- رابعًا : بنطفى كل أنوار المكان ونقعد على ضوء الشموع و بنطفى كمان أى جهاز ممكن يعمل تشويش أو إزعاج أثناء الجلسة

- خامسًا : علشان نبدء الجلسة لازم نقعد كلنا حوالين الترابيزة وماسكين ايد بعض علشان نكوّن حلقة تواصل بين الوسيط وباقى أفراد الجلسة , ونبدأ ننادى على الروح

سألت أمانى فى لهفة :

- وبتنادوا عليها ازاى

أجابت الدكتورة:

- بيختلف شكل النداء من مجموعة للتانية , يعنى مثلًا ممكن نقول :

- " عزيزنا فلان ، جئنا وأحضرنا معانا الهدايا من الحياة إلى الموت، تواصل معنا يا فلان وتنقل بيننا " , ونفضل نكرر النداء ده لحد ماتستجيب الروح وتحضر.

سألتها أنا الآخر مشككًا :

- وتعرفوا ازاى بقى انها حضرت؟

- بنعرف ان الروح حضرت بأشكال كتير , ممكن نسمع صوت خبطات أو النور يطفى وينور ده لو كنا منورين إضاءة خفيفة , او كأن نسمة هوا دخلت علينا تحرك إضاءة الشمعة أو اننا نسأل الوسيط هل الروح حضرت ولا لأ

- وبتتواصلوا معاها ازاى ؟

لو هى حضرت وحابين نتواصل معاها من غير وسيط فبيبقى عن طريق الخبط على الترابيزة , يعنى نسألها سؤال وننتظر الإجابة , لو إجابة الروح " لأ " بتخبط خبطة واحدة على الترابيزة ,ولو إجابتها " ايوه " بتخبط خبطتين

- ولو فيه وسيط ؟

- وقتها بيكون الموضوع أسهل والمعلومات أكتر , لاننا ساعتها هنقدر نسألها عن كل حاجة والوسيط بيجاوب بالحاجة اللى بتوريهاله

سئلت أمانى متعجبة :

- بتوريهاله ازاى يعنى ؟

أجابت الدكتورة فى عرض مسرحى آخر :

obeikandl.com

- لما الوسيط بتحضر عليه الروح بتظهر قدامه صور وكأنها لقطات فيلم بتتعرض قدامه , يقدر يشوف فيها اللى الروح عاوزاه يشوفها , ممكن تكون اللقطات دى حاجات حصلت قبل كده , أو إشارات , أو تحذيرات من حاجة مستقبلية , أو حد معين

ولما بنعوز ننهى الجلسة , بنشكر الروح على مساعدتها ونبلغها انها تقدر تمشى بسلام ونفك ايدينا من بعض ونطفى الشموع وننور الإضاءة ولازم طبعًا كل المشاركين فى الجلسة يحافظوا على هدوئهم للنهاية , علشان كده بنخاف ندخل حد جديد لاننا مش ضامنينه , وحصل مره اننا دخلنا حد هاوى فى وسطنا وكانت النتيجة انه انهار فى بداية الجلسة و اتفكت الحلقة وكانت هتتسبب لنا فى مشكله كبيرة مع الروح اللى اتحضرت وقعدنا ايام بنعانى من غضبها .

سألتها وكأننى نفضت عنى غشاوة اللهفه :

- وانتى بقى عايزانا نصدق التخريف ده

نظرت لى الدكتورة فى ثقة :

- زى ما أنا مصدقة التخريف بتاعك وعارفه انه حقيقة لازم تصدق التخريف بتاعى وتتأكد أنه حقيقة

ساد صمت طويل قبل أن تقطعه أمانى متسائلة بخضوع :

- نيجى لحضرتك امتى ؟

ردت الدكتورة فى هدوء :

- بكره بعد الغروب تكونوا هنا , هنعمل جلسة ونحاول نستدعى هشام , يمكن نقدر نعرف حاجة

شكرتها أمانى على وقتها الثمين الذى لا اعرف له ثمنًا وانصرفنا وقبل أن تغلق الباب خلفنا قذفت لى كلمة أخيرة :

- خلى بالك من الإشارات يا شريف , وحاول تفتكر اللى هتشوفه

وقبل أن أنظر إليها وأسألها ما الذى سأراه كانت قد أغلقت الباب

نزلنا أنا وأمانى واستقللنا السيارة وكلٌ منا يهيم فى عالمه لا أحد يكلم الآخر , فقط يصارع أفكاره , أوقفت السيارة أمام منزل أمى الذى ستمكث فيه أمانى ليلتها استعدادًا للِّقاء المرتقب وانصرفتُ دون أن يتحدث أحدنا إلى الآخر وكأننا غرقنا فى ذالك البئر العميق وانصرفت أنا لمنزلى وكر أحلامى لعلى أجد فيه ملاذى وهنا تذكرت رسالة هشام التى أوصلتها لى تلك الطبيبة وتسائلت فى نفسى :

" أخلى بالى منه ازاى ".

***

فى المنزل ..

فتحت الباب لأجد زوجتى الحبيبة جالسة على مقعدٍ أمام التلفاز منتظرة عودتى , بمجرد وصولى قامت مسرورة تحتضننى باشتياق :

- وحشتنى أوى

أجبتها بحب وأنا أمسح على شعرها :

- وانتى اكتر بكتيييييير

- اخبار الشركة ايه ؟

جلست على أقرب مقعد وأطحت بمفاتيحى على الطاولة المقابلة :

- ما روحتش الشركة النهارده

جلست نهلة بجوارى وسألتنى بتعجب :

- ما روحتش الشركة ؟ امال صحيت بدرى وروحت فين

- والله يا نهلة روحت قابلت ناس أصحابى ما شوفتهمش من زمان , وقولت اصحى بدرى بقى واشم شوية هوا وأنا ماشى

أومأت نهلة برأسها فى اقتناع كاذب :

- ما قولتليش صحيح عملت ايه امبارح مع أمانى ؟

obeikandl.com

ترددت قليلًا هل أخبرها أم اؤثر الصمت , تمنيت أن أخبرها بما يجول فى خاطرى فهى أقرب لى من نفسى ولكنى خشيت أن تستشعر مرضى أكثر فيُبْنَى بيننا سدًا آخر , فأجبت باقتضاب :

- ولا حاجة اديتها الفلوس واطمنت على يوسف ورجعت

سألتنى بابتسامة :

- أحضرلك العشا ؟

أجبت بابتسامة مماثلة :

- اوك ياحبيبتى

دخلت غرفتى وتصنعت تبديل ملابسى ووقفت أمام المرآة أشاهد ذلك الشبح المجسم الذى يرتسم بداخلها , أنظر لنفسى وكأننى أحجية تنتظر الحل , تسائلت مئات المرات ماذا سأفعل ؟؟

هل أذهب غدًا وأكمل هذه المهزلة , أم أتقهقر ويبقى النزاع داخلى يلتهمنى .

لا أعلم ... لا أعلم

- العشا جاهز ياحبيبى

انتزعنى صوت زوجتى من أضغاث أحلام اليقظة , فأجبتها بهدوء:

obeikandl.com

- اوك ياحبيبتى جاى اهو

اضطررت أن أفيق من تساؤلاتى وأن اغير ملابسى بسرعة قبل أن يبرد العشاء وأدخل فى تساؤلات جديدة

أتممت تناول عشائى وهممت بإشعال سيجارة لكنى خشيت اللوم والعتاب وهجر الأحباب الذى سوف تلقيه علىَّ زوجتى فأعدتها لمرقدها مرة أخرى وذهبت لسريرى كى أتظاهر بالنوم.

دخلت نهلة فوجدتنى قد تلفحت بالغطاء واستعددت لنوم عميق , فصاحت فىَّ غاضبة كشأن كل أنثى :

- انت هتنام ؟!

- ايوه أصلى تعبان أوى ومرهق وبقالى يومين ما بنامش كويس انتى عارفه

- امممممم وهوا يعنى الارهاق ده ما ينفعش يستنى شوية

هنا تذكرت عهدى لنفسى بالمثالية , فنظرت إليها مبتسمًا :

- ينفع علشان خاطرك

جلست على السرير ونظرت إليها لاستكمال حديثنا , سألتنى نهلة باهتمام :

- ما قولتليش عملت ايه مع على ؟

- طردته

- بجد

- وانتى فرحانه ليه كده

- طيب وأنا هفرح ليه يا شريف أنا بس مرتاحة علشان الشركة أخيرًا هتعرف تشم نفسها

نظرت لنهلة وأمسكت بيدها :

- بصى يا نهلة هقولك كلمتين كده واعتبريهم خط عريض فى حياتنا

- قول يا شريف وأنا سامعاك

- علشان حياتنا الزوجية تستقر , لازم نفصل الشغل عن حياتنا

واستطردت وأنا أنظر لعينيها مباشرة :

- يعنى يا نهلة ابعدى نفسك عن الشركة خاااالص , وأنا قررت انى مش هتعاقد لا مع الشركة اللى اقترحها على ولا الشركة اللى اقترحتيها , انسى الشركة وشغلها وقرفها وعلى واللى جابوه وركزى فى شغلك وبيتك بس ..... الكلام ده يزعلك فى حاجة ؟

أجابت باقتضاب :

- لا ما يزعلنيش

obeikandi.com

استطردت نهلة :

- شفت بقى ان كلامك نسانى أجيبلك الدوا , ثوانى أقوم أجيبهولك

زفرت بارتياح على تفهم نهلة لموقفى , وابتسمت فى نفسى شاكرًا لله على إعطائى مثل تلك الزوجة العظيمة ..

أحضرت لى نهلة دوائى الذى لولاها لما تناولته أبدًا , فأخذت الدواء وجلست هى بجانبى وسألتنى اسئلة المرأة المعهودة :

- بتحبنى؟

- طبعًا بحبك

- بجد ؟

- بجد

- طيب وحشتك ؟

- جدًا جدًا

- قد ايه ؟

- قد ما وحشنى الزمالك يكسب الأهلى

هنا ابتسمت نهلة وهذا ما كنت أنشده واقتربت واضعة رأسها على صدرى ثم رفعت رأسها وطبعت قبلة على خدى وهى تستطرد :

obeikandl.com

- بكره كل حاجة هتتحل , تصبح على خير .....

شريف

شريف

يدًا تلكزنى بقوة لتحثنى على النهوض

- فيه ايه يا نهلة

- قوم يا شريف

قمت فزعًا ونظرت أمامى :

- هشام

- تعالى معايا يا شريف

نهضت من سريرى ونهلة مازالت راقدة بجانبى واتجهنا معًا نحو الغرفة الآخرى , فتح هشام بابها فوجدتنى فى شركة والدى وأمامى على صديقى يجلس على مكتبه ونهلة تجلس أمامه يتناقشان وقد احتدم نقاشهم فأخرجت نهلة ورقة من شنطتها ولوحت بها أمامه, هنا استشاط على غضبًا وطردها من مكتبه وجلس على مقعده مرة اخرى مغطيًا وجهه بكفيه وكأنه فى موضع حرج لا يدرى ما يفعل , وفجأة انتفض وكأنه التقط تلك القشاية التى يتعلق بها الغرقان , فأمسك الهاتف وطلب

obeikandl.com

رقمًا تحدث إليه قليلًا وبدا عليه الراحة ثم أنهى المكالمه وأغلق السماعة واسترخى على مقعده أكثر.

وهنا نظرت لهشام ولم افهم شيئا , فسار أمامى وتبعته حتى دخلنا غرفة أخرى , غرفة أعرفها جيدًا , غرفة مكتب أبى الحبيب , وجدتنى أقف على بابها و يدخل أبى الغرفة وكأنه لا يرانى ولكنه ينظر خلفه خشية أن يراه أحد , ثم يفتح أحد أدراج مكتبه ويضع فيها شيئًا ويغلق الدرج بالمفتاح وينصرف

وكحالتى الأولى لم أفهم شيئًا ونظرت لهشام مرة أخرى أرجوه أن يشرح لى ما استحال على عقلى فهمه ولكنى لم أجده هذه المرة وكأنه تبخر كالهواء فظللت أبحث عنه هنا وهناك وأنادى عليه كثيرًا حتى استيقظت من نومى مفزوعًا لا أفهم ما رأيت وإن كان هذا أصبح عاديًا , فأنا لم أفهم شيئا منذ رأيت هشام فى المرة الأولى وحتى الآن ...

نظرت بجانبى فوجدت نهلة ما زالت نائمة , بحثت عن ساعتى فوجدتها بجانبى , نظرت لعقاربها السامة أرى كم الساعه الآن كانت التاسعة صباحًا

لم أدرى بنفسى إلا ناهضًا من سريرى متجهًا لهاتفى أطلب رقم أمانى وأطلب منها لقائى فى شقة هشام , فمن يدرى لعلها إشارة !!!!

***

فى منزل هشام ...

الساعة الحادية عشر صباحًا ...

صمت مطبق يلف المكان , أفرغت ما فى جعبتى لأمانى وقصصت لها حلمى الأخير , قطعت أمانى صمتنا وهى تسألنى بتعجب :

- تفتكر ايه اللى بين على ونهلة ؟

أجبتها بهدوء:

- ما أعرفش

- طيب ايه الحاجة اللى كان عمو بيخبيها وخايف حد يشوفها

- بردو ما أعرفش

- طيب ما سألتش نهلة ليه ؟

- تفتكرى لو كان فيه حاجة فعلا هتقولى عليها

- طيب وهنعمل ايه دلوقتى

- لو كان عليا عايز أروح للدكتورة دى دلوقتى بس قالت نروحلها بعد الغروب , مش عارف اعمل ايه مش عارف اشتغل ولا أروح الشركة ولا عارف أقعد مع نهلة ولا عارف أكلم على ولا عارف اعمل اى حاجة غير

obeikandl.com

لما أفهم الأول , قولت أكلمك نقعد فى أى حتة لحد ميعاد الدكتورة واهو ألاقى حد اتكلم معاه بدل ما أتجنن

نظرت أمانى فى ساعتها بنفاذ صبر :

- لسه قدامنا ييجى خمس ساعات على ما نروح لها , خلينا قاعدين هنا بقى على ما ييجى الميعاد ونمشى ولا أقولك تعالى نروح عند ماما ناخد يوسف يروح معانا يمكن يسمع صوت باباه

قالتها أمانى بحزن قبض قلبى فحاولت إلهائها حتى لا تخونها دموعها مرة ثانية :

- ياأمانى انتى مصدقه الوليه دى كدا ليه , هى يمكن يكون عندها معلومات عن حاجات احنا ما نعرفهاش بس مش لدرجة تخلى هشام يكلمنا انتى واحدة مثقفة وعيب تقولى الكلام ده

نظرت أمانى للأسفل فى حزن :

- أنا بقول يمكن

وافقتها كى لا تحزن :

- خلاص قومى بينا احنا كدا كدا مفيش ورانا حاجة بس أنا مليش دعوة لو الواد ما نفعش للجواز

ضحكت أمانى ومسحت دمعة نزلت سهوًا منها :

- طيب قوم بينا

ذهبنا لمنزل أمى وكالعادة انتظرتهم بعيدًا حتى أحضرت أمانى ابنها يوسف وذهبنا لإحدى مطاعم التيك أواى تناولنا بعض الساندوتشات وانطلقنا ناحية الدكتورة غريبة الأطوار لعل أحد فتواها تفيدنا .

بمجرد وصولنا أمام الباب وجدناها واقفة فى انتظارنا وهى تبتسم بثقة:

- كنت عارفه انكو هتيجوا

أجابت أمانى :

- و احنا محتاجين الجلسة دى أكتر منك بكتير أوى

- طيب اتفضلوا

دخلنا المنزل وأجلسنا يوسف فى الصاله ودخلنا نحن غرفة الأشباح, غرفة تحضير الأرواح ..

قصصت لها حلمى الأخير وكالعاده ظلت محتفظة ببرودها ولم تتفوه إلا بكلمة واحدة :

- يللا بينا نبدء الجلسة

جلسنا ثلاثتنا حول الطاولة , أشعلنا الكثير من الشموع وأطفئنا الإضاءة ووضعنا بعض الطعام وجلسنا فى حلقة ممسكين بيد بعضنا البعض , تسائلت الدكتورة :

obeikandi.com

- مين هيكون الوسيط ؟

- أنا

قلتها مسرعًا وكأننى أحجز مقعدى فى الصف الامامى فقالت أمانى فى شفقة :

- بلاش انت يا شريف وخلى الدكتورة تبقى هى الوسيط أهو على الأقل هى عملت الموضوع ده قبل كده

أجبتها بإصرار :

- لا , أنا اللى هكون الوسيط

ردت الدكتورة باستسلام :

- اللى يريحك , بس لما تحس انك هتتعب أو حصل حاجة غريبة ابقى اعمل اى إشاره ننهى بيها الجلسة

اخذت شهيقًا عميقًا وسميت الله فى سرى :

- يلا نبدء

بدأنا جلستنا بالنداء على أخى الحبيب

" عزيزنا هشام ابن فاطمة ، جئنا وأحضرنا معانا الهدايا من الحياة إلى الموت، تواصل معنا يا هشام وتنقل بيننا "

ظللنا نرددها مرات ومرات حتى توقفت عن الكلام وأغمضت عينى , فشعروا أن الروح قد احتلتنى , سمعت صوت الدكتورة وكأنه يأتينى من بعيد ..

- لو حضرت ياهشام اخبط خبطتين

أقسم أنى لم أشعر بيدى وهى تطرق الطاولة طرقتين , وكأننى فتحت صدرى للهواء فاحتلت جسدى نسمة هادئة , حررت روحى وجعلتنى هائمًا فى الملكوت , لم أعد أشعر بجسدى , تركت آلامى وتركت عالمى وانتقلت للسلام .

لم أرى هشام ولم أجد ذلك الفزع والإثارة التى كنت أنتظرها , لم أرى أشباح أو جنٍ مُقَنَّع , ولم أنتقل إلى البرزخ الهائم , ولكنى تحولت إلى مُشاهِد سينمائى ينتظر رفع الستار , رأيت بعض المشاهد المصورة , لمحات خاطفة تأتى وتروح , أصوات أسمعها حولى فى كل مكان وكأنها رسائل تائهة تأتى من العالم الآخر يريد أصحابها أن يسمعها أحد أو يشعر بها , شريط يمر أمامى يحمل فى طياته الكثير , أغلبه لن أتذكره عندما أستعيد وعيى ولكنى أرى الآن الحقائق , إحساسى بالحرية تجلى فى أبهى صوره , استعدت إحساسى الذى شعرت به لأول مرة يوم اقتراب موتى ..

شاهدت ذلك الشريط حتى أظلمت الشاشة وانتهى عرض الفيلم وأضيئت الأنوار, فتحت عينى و وسحبت يدى من يد الدكتورة ويد أمانى والعيون كلها تنظر لى مترقبة بلهفة وشغف تريد أن أقص عليهم

كل مارأيت , ولكنى فقط وضعت يدى أمام وجهى أحاول التذكر , أحاول تجميع شتات أفكارى , وحينما استعدت تركيزى كليًا , مددت يدى ف جيبى مسرعًا واستخرجت ورقة وقلم وكتبت عليهم تلك الأرقام التى رأيتها من قبل خوفًا أن أنساها ثانية ..

1.13.1.14.25

نظرت أمانى للورقة وتسائلت :

- ايه دى

قلت وأنا افكر :

- دى كلمه سر

تعجبت الدكتورة قائلة :

- بس تكوينها غريب ازاى تبقى كلمه سر وفى وسطها نقط كده كأنها بتفصلها عن بعض , وكلمه سر ايه بالظبط ؟

- مش عارف

ثم تذكرت باقى ما رأيت فقمت مسرعًا أنادى يوسف ابن أخى , ركضت إلى الصالة وركضت خلفى الدكتورة وأمانى وهما يسألانى فى دهشة

- فيه ايه , عاوز يوسف ليه

جلست على مقعد بجوار يوسف وجلسن حولى , فركت جبهتى بيدى محاولًا استعادة المشهد السابق وأنا أقص لهم ما رأيت بهدوء :

- شفت يوسف فى شقه هشام القديمه ماسك حاجة فى ايده مش عارف هى ايه وبيخبيها علشان محدش يشوفها, وبعدها ظهرت قدامى الأرقام دى اللى شفتها فى حلمى اللى فات ساعة ما قال عليها هشام غنها كلمة السر , وبعدها سمعت صوت جاى من بعيد , صوت ضعيف بس قدرت أسمعه صوت بيقولى " وصل الأمانة يا شريف ".

نظرت لأمانى مستطردًا :

- شفتك وشوفت نهلة ويوسف وماما وعلى , شفت أحداث كتير داخلة فى بعضها ما عرفتش أفهمها ولا أميزها , الأصوات حواليا خلتنى أتوه بقيت حاسس انى قاعد معاهم شايفينّى وبيكلمونى , حاولت أشيل فى راسى أكبر قدر أقدر افتكره لكن بمجرد ما فتحت عينى ما إفتكرتش أى حاجة غير يوسف والأرقام اللى شفتها قبل كده خفت أنساها فكتبتها بسرعة.

نظرت ليوسف متسائلًا :

- يوسف انت خدت حاجة كانت بتاعت بابا الله يرحمه

شعرت بخوف يوسف وتردده فكررت عليه السؤال مرة اخرى ولكنه لم يجب , حاولت طمأنته :

- ما تخافش يا يوسف دا بابا جالى فى الحلم وقالى انه فرحان أوى انه خدت حاجة مهمه زى دى وخليتها معاك لحسن تضيع

ابتسم يوسف مسرورًا وقال فى فرحة :

- فعلا ياعمو بابا مبسوط منى

- ايوه ياحبيبى مبسوط منك أوى علشان كده جالى فى الحلم وعاوزنى أشكرك , بس ما قلتليش هى ايه الحاجة دى

وضع يوسف يده فى جيبه وأخرج هاتف هشام رحمه الله ..

سألته أمانى باستغراب :

- انت خدت الموبايل ده امتى يا يوسف

رد يوسف :

- أصل يا ماما حضرتك لما بابا الله يرحمه مات , خدتى كل حاجته وحطتها فى الأوضة وكنتى بتعيطى وقولتى اننا هنسافر ومش هناخد معانا أى حاجة , وأنا كان نفسى يبقى معايا حاجة من بتاعت بابا كل مايوحشنى أبوسها والبوسه توصله , فدخلت وحضرتك بتلمى الهدوم وخدت موبايل بابا خليته معايا وكنت بخبيه فى جيبى حتى وأنا نايم علشان ما تزعليش منى .

بكت أمانى حين شعرت بقسوتها فى ظلم هشام وذكراه , احتضنت يوسف وقبَّلَته :

- أنا أسفه يا يوسف أسفه أوى

نظر لها يوسف بحنان :

- ما تعيطيش يا ماما دا بابا بيحبك أوى وهو معانا وبسمعه بيكلمنى ويطبطب عليا لما اكون خايف وبيجيلى فى الحلم كمان ويقولى انه بيحبك

احتضنت أمانى يوسف أكثر ودموعها ترفض التوقف:

- ربنا يخليك ليا ياحبيبى ويرحم بابا .... ويغفر لى .

***

" موبايل هشام "

قلتها وأنا أحمل ذلك الهاتف فى يدى , هل هذا الشىء هو ما دفع هشام للحضور من عالمه بعد سنة غياب منذ وفاته , ماذا تحوى تلك الكتلة المعدنيه كى تضعنى فى ذلك العالم العجيب , كى تشتتنى وتمزق روحى كل ليلة

نظرت لى أمانى متلهفة :

- خد يا شريف افتحه يمكن نلاقى اللى هشام عاوزنا نلاقيه

ضغطت زر الطاقة ليكشف الهاتف عن محتواه لكنى وجدته بكلمة سر ..

تذكرت تلك الارقام التى أعطاها لى هشام وأخيرًا سيبقى لها فائدة , بسرعة أدخلتها وكانت النتيجة صادمة ..

" كلمة المرور غير صحيحة "

حاولت مرارًا وتكرارًا مرة باللغة العربية وأخرى بالإنجليزية ولم ينفع معها شىء , ظللت أكررها ساعات حتى يئست وظهر اليأس على وجه أمانى والدكتورة , كل مافعلناه ذهب سدى , فوضعت الورقة والهاتف على الطاولة التى أمامنا وأسندت ظهرى للوراء وفى قلبى حسرات ..

أثناء استلقائى وجدت يوسف يمسك بالورقه ويبتسم فى فرحه وكأنه وجد لعبه :

- أحلها أنا ياعمو أحلها

انتفض ثلاثتنا على صوت يوسف فاقتربت منه متلهفًا :

- انت تعرف هى ايه دى يا يوسف

- ايوه يا عمو دى لعبة كنت بلعبها أنا وبابا

- لعبة ؟؟

- ايوه ياعمو , لما كان بابا يحب يقولى حاجة من غير ماما ما تعرف كان بيكتبهالى أرقام زى دى وأنا أقلبها واعرف هو كان عاوز ايه .

رفعت حاجبى ولم أفهم شيئًا .

- تقلبها ازاى يعنى يا يوسف

أمسك يوسف بالقلم وكتب الأحرف الأبجدية الإنجليزية كاملة من A حتى Z , وأسفل كل حرف وضع رقم من 1 حتى 26

A	B	C	D	E	F	G	H	I	J	K	L	M
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13

N	O	P	Q	R	S	T	U	V	W	X	Y	Z
14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26

وبدء يوسف فى تحويل الأرقام إلى حروف حتى ظهرت كلمة السر

1.13.1.14.25

AMANY

أمانى هى كلمة السر المرتقبة , مسكت الهاتف مرة أخرى وأدخلت هذه المرة أحرف لا أرقام , أحرف الكلمة الضائعة وكانت النتيجة

" كلمة المرور صحيحة "

عادت أمانى للبكاء بعدما علمت أنها هى المسيطر الأول والأخير على قلب وعقل هشام ولكن لا مجال للندم فلن يعيد البكاء اللبن الذى سُكِب وشربه التراب .

أمسكت يد أمانى فى رفق حتى تمسح دموعها وتبتهج معى فأخيرًا سنجد حل لغز سرنا الغامض

فتحت الهاتف لأرى ماذا تخبئ لنا تلك القطعة المعدنية التى طال بحثنا عنها

فتحت الأسماء لا شىء ..

فتحت الرسائل , لا يوجد رسائل ..

فتحت الصور لاشىء ...

قلبت ذاكرة الهاتف رأسًا على عقب فلم أجد فيها إلا مقطع فيديو واحد فقط ..

نظرت للجالسين حولى فرأيت أعينهم كلها مترقبة حل اللغز , ضغطت زر التشغيل وبدء عرض الفيديو ...

كان الفيديو مصورًا لأبى جالسًا فى مكتبه وآخر يصوره حيث افتتح أبى حديثه بالسلام

" ازيك يا شريف , يارب تكون بخير يا إبنى , طالما انت بتسمع التسجيل ده دلوقتى يبقى أنا حصلى حاجة قبل ما أعرفك الحقيقة , ويبقى كمان هشام أخوك ما قالكش على سرى , من زمان يا ابنى نفسى أصارحك , نفسى أحكيلك على كل حاجة , بس خايف من نظرتك ليا , خايف صورة الأب المحترم تتحول لأب حقير نسى أولاده وظلمهم , حاولت كتيرأحكيلك ع اللى حصل لكن كل مرة كان لسانى بيقف , دلوقتى عدت التسجيل أكتر من مرة علشان أقولك ع الحقيقة لكن بردو ما قدرتش , الحاجة الوحيدة اللى هقدر أقولهالك , روح اسأل والدتك وخليها تحكيلك بس قبل ما تسألها ادخل أوضه مكتبى , مد إيدك تحت رجل المكتب الأولى هتلاقى مفتاح , خده وافتح بيه أول درج , هتلاقى فيه ورقتين , اقراهم واسأل والدتك عنهم ولما تسألك مين اللى قالك مكانهم ابقى خليها تسامحنى , ويارِيت يا ابنى تسامحنى انت كمان زى ما أخوك هشام قدر يسامحنى "

هنا انتهى التسجيل وانتهت معه آخر قطرات عرقى المتصببة, نظرت للدكتورة وأمانى اللتان أوشك الفضول أن يقتلهما وتمتمت بصوت هادئ :

- نفس اللى شوفته فى حلمى امبارح بس ما كنتش أعرف مفتاحه فين

نهضت أمانى من مقعدها وهيا تجذبنى بقوة :

- قوم يللا شريف بسرعة نروح عند طنط

استوقفتها بهدوء :

- بلاش تيجى معايا المرة دى ياأمانى , خليكى هنا مع الدكتورة وأنا هروح لوحدى , ولما ارجع هحكيلكم ع اللى حصل

انصرفت متجهًا لمنزل امى , فلن أستطيع النوم إلا عندما أعلم بما يخبئه والدى .

***

" العاشرة مساءً "

كنت فى منزل أمى أطرق الباب , حين أتانى صوتها :

- حاضر ياللى على الباب جايه أهو , شريف !! حصل حاجة يا ابنى ولا ايه ؟

- ازيك يا ماما عامله ايه ؟

- بخير يا ابنى الحمد لله , طمنى ايه اللى جايبك متأخر كده

تلعثمت قليلًا ثم أجبت :

- كان فيه ورق بدور عليه ما لقيتهوش فى الشركة وقولت اجى ادور هنا فى مكتب بابا الله يرحمه يمكن الاقيه

نظرت لى أمى متعجبة :

obeikandi.com

- ورق إيه دا يا ابنى اللى هيقعد فى مكتب ابوك خمس سنين , عمومًا المكتب عندك ادخل دور على اللى يعجبك , صحيح يا شريف نسيت أقولك ان أمانى هنا من امبارح جت تشترى حاجات وتقعد يومين بس مش عارفه يا ابنى خرجت من الصبح وخدت يوسف قالت هتزور واحدة صاحبتها ولحد دلوقتى ما رجعتش وعماله أتصل بيها تليفونها مقفول وأنا قلقانه عليهم أوى

حاولت طمأنه أمى حتى لا يشتد قلقها ومازال الليل طويلًا علينا :

- آه يا ماما ما أنا عارف ان أمانى هنا ماهى كلمتنى النهارده وكانت بتسأل عن نهلة علشان يقعدوا مع بعض شوية , انتى عارفه نميمة الستات ما بتخلصش , وزمانهم قاعدين مع بعض دلوقتى والكلام واخدهم

تنهدت أمى بارتياح :

- طيب يا ابنى الله يريح قلبك , روح شوف بتدور على ايه وأنا هروح أعملك الشاى

تركت أمى ودخلت مكتب أبى , كما هو لم يتغير منذ وفاته , لم يدخله أحد من بعده ولا حتى أخى هشام , ظل محتفظًا برائحة صاحبه حتى الآن .

اتجهت لذلك الدرج الذى دسَّ فيه أبى شيئًا وذكره فى تسجيله , حاولت فتحه لكنى وجدته مغلقًا كما قال , لم أشعر بيدى إلا وأنا

أمدها أسفل قدم المكتب وأبحث عن المفتاح , فى داخلى تمنيت أن أجده حتى أكتشف اللغز أخيرًا ولكنى كنت أخشى أن يكون مفتاح لغرفة أسرار أخرى , ولكن لهفتى فاقت رهبتى حين وجدت ذلك المفتاح الصغير الذى يختبئ خوفًا من الوقوع فى أيدى أحد الغرباء .

أخرجت المفتاح وفتحت الدرج المغلق وفعلًا لم أجد فيه سوى ورقتين فقط كما ذكر والدى .

فتحت الورقة الأولى ...

أعرف شكلها جيدًا فعندى منها واحدة

" قسيمة زواج "

لابد أنها قسيمة زواج أبى وأمى ولكن لماذا يخبئها ؟

وجدت الصور منزوعة منها , نزلت للأسفل أقرأ اسم الزوجين

أسم الزوج : سيف الدين أحمد محمد الشوربجى

أسم الزوجة : هاله عبد الرحمن ذكى منصور

هاله ؟؟؟؟

من هاله ؟؟

أسم أمى فاطمه من تكون هاله ؟؟

obeikandl.com

هل تزوج أبى على أمى ؟؟؟

هل تعلم أمى بأمر تلك الورقة ؟

هل أنجب منها ؟

هل طلقها أم مات وهو مازال متزوجًا بها ؟

هل ؟ هل؟ هل؟

مئات الاسئلة دارت بعقلى فى لحظة بل واقل من اللحظة , صدمتى كادت تفجر مخى المريض , كيف لأبى أن يفعل مثل هذا ؟ كيف ؟

فتحت الورقة الأخرى وكما توقعت كانت ورقة طلاقهم

كنت قد جلست على الأرض من هول الصدمة والورقتين مازالا فى يدى وفى رأسى تزاحمت الأفكار , لم أشعر بأمى واقفة بجانبى وهى تحمل كوب الشاى حتى سمعت صوت ارتطام الكوب بالأرض .

نهضت مسرعًا لأجد أمى لا تقل عنى فزعًا واضطرابًا ..

وجدتها تنظر للورقة وكأن سرًا قد انكشف , يدها تشنجت وأسقطت الكوب , عيناها جاحظة ودقات قلبها أسمعها من مكانى , أشرت إليها بالورقة وأنا أسألها متحفزًا :

- تعرفى ايه الورقة دى , شفتيها قبل كده ؟؟

لم أتلقى جوابًا وإنما رأيت شلالات من الدموع قد انهمرت

سألتها بحدة أعنف :

- تعرفى الورقة دى يا ماما , تعرفى اللى فيها

أومأت برأسها علامة الإيجاب وهى تغطى وجهها بكفيها , أمسكتها حتى لا تسقط وخرجنا إلى الصالة , جلست على أحد المقاعد ونكست رأسها أرضًا , جلست بجانبها وأمسكت بيدى ذقنها ورفعت رأسها لتواجهنى وسألتها فى شفقة :

- بابا اتجوز عليكى ؟

كانت ما زالت تبكى فى صمت وسط دموع حارة تسقط على وجنتيها قبل أن تومئ رأسها بالإيجاب ثانية فسألتها :

- امتى , اتجوز امتى ومين اللى اتجوزها دى , واتجوز ليه أصلًا ؟ احكيلى يا ماما كل حاجة أبوس إيدك

مسحت أمى دموعها السارية وبدأت تقص ماحدث :

- أنا هحكيلك يا ابنى اللى حصل , بس قبل ما أحكيلك عاوزه أقولك انى ما رضيتش أعرفك بموضوع الورقة دى علشان ما تفكرش فى أبوك التفكير اللى دماغك دلوقتى دا , ولا تبص له بالنظرة دى حتى وهو ميت , أبوك يا ابنى أول ما إتجوزنا كان شغال فى شركة أدوية كبيرة , قدر يكسب منها كويس وكان بيحوش اللى بيكسبه علشان كان

فى نيته انه يفتح شركة استيراد أدوية صغيرة يستورد فيها الأدوية المضمونة اللى تفيد الناس ويحارب الشركات اللى بتستورد أدوية فاسدة تأذى بيها الناس

لما لقيته مصمم على حلمه بِعْتْ لُه الدهب اللى كان عندى من ورث أهلى ومن الدهب اللى هو كان جايبهولى فى جوازنا وخدنا قرض من البنك , وفعلًا قدر أبوك يفتح الشركة اللى لسه موجوده لحد دلوقتى

عملنا إعلان عاوزين سكرتيرة واتقدمت واحده مؤهلاتها كويسة والدك قِبِلْهَا وخلَّاها سكرتيرة الشركة , وقتها كنت أنا لسه عارفه انى حامل فيك وأخوك هشام لسه صغير وما كانش ينفع أسيبكم واروح أشتغل معاه فوافقت انه يجيب حد يساعده واقعد أنا فى البيت أهتم بيكم , بعد كام شهر لقيت والدك داخل عليا بيعيط ويبوس إيدى ويقولى سامحينى

مش هقولك اتفاجأت لما قالى انه اتجوز عليا , أنا كنت حاسه وبقول لأ مش ممكن , زى أى واحدة ما بتصدقش ان ممكن جوزها يتجوز غيرها وكأنها غير كل الستات

المهم قالى انه اتجوز وانها دلوقتى حامل وانه اكتشف انها اتجوزته علشان طمعانه فى الشركة مش حب فيه , و كانت بتخنصر من فلوس الشركة وعامله حساب لنفسها فى البنك , وعرف ده بالصدفة لما جالها جواب من البنك على الشقة اللى كان واخدهالها وهو اللى استلم

الجواب , ولقى ان حسابها فى البنك كبير وان الحساب ده اتفتح بعد جوازهم .

قالى انه كان بيلاقى غلطات كتير فى الحسابات بس كان بيكدِّب نفسه , إزاى تبقى مراته وتسرقه لكن لما جاله حساب البنك أكد كل شكوكه , واجهها باللى عملته والمفاجأة انها ما أنكرتش .

قالتله إنها كانت عاوزه تأمن مستقبلها ومستقبل الطفل اللى هيتولد بالذات انه متجوز وعنده ولدين يعنى هتطلع هى وابنها من المولد بلا حمص .

وقتها أبوك اتصدم من كلامها وطلقها

وأردفت متهكمة :

- مش عارفه ليه الرجالة لما بتعرف الحقيقة بتتصدم مع إنها بتبقى عارفاها بس بردو بتكدب نفسها .

وقتها كنت مصممة على الطلاق لكن رجعت فيه علشانكم , وعلشان ما تنتصرش عليا وأولادى يتربوا زى ابنها من غير أب وأساوى نفسى بيها , وعلشان بحب أبوك حب فوق الوصف

سامحته واتناسيت اللى حصل ورجعنا تانى زى الاول وعلشان ما يظلمهاش كان بيبعت لها مصروفها ومصاريف ابنها كل شهر لحد ما لقيته جاى فى يوم ومعاه طفل عنده حوالى 7 سنين وبيقولى انه ابنه

من هالة , وانها قررت تتجوز رجل أعمال وتسافر معاه الأرجنتين وبعتت له الولد يعيش معاه لأنها قررت تمسح الماضى وتبدأ حياة جديدة .

مش هكدب عليك لما شفت الولد كنت بكرهه بس لما فكرت بهدوء وحطيت واحد فيكم مكانه لقيت انه مسكين مالوش ذنب فى دنائة أمه ولا إهمال أبوه .

قرر سيف انه يدخله مدرسة داخلية ونزوره احنا من وقت للتانى علشان كان خايف تعرفوا الحقيقة وتكرهوه , وفعلًا دخَّلُه وكنا كل أسبوع نروح نطمن عليه ونجيب له اللى نفسه فيه , وقتها كان سنك أصغر من دخول المدرسة بشهرين وكان ممكن ندخلك مدرسة خاصة تعدى حكاية الشهرين دول , لكن والدك رفض وقرر انه يدخلك السنة اللى بعدها علشان تدخل مع أخوك اللى انت أكبر منه بشهور , مع ان كل واحد فيكم كان فى مدرسة لكن كان وجهة نظر أبوك انكم أكيد فى يوم من الأيام هتتجمعوا ويمكن الدراسة تجمعكم وتبقوا أصحاب وتعوضه عن السنين اللى عاشها لوحده.

والأيام أثبتت ان سيف كان ليه نظرة مستقبلية مدروسة كويس أوى , لأنكوا فعلًا دخلتوا كلية واحدة واتخرجتوا مع بعض .

سألتها بلهفة :

- وهو فين دلوقتى ؟

ردت مبتسمة :

- موجود

سألتها مترقبًا وملهوفًا :

- موجود فين ؟ ألاقيه ازاى ؟

ابتسمت وهى تربت على كتفى :

- انت اللى طردته وانت اللى تعرف مكانه .

كادت دقات قلبى تُسْمِعُ العالم الآخر حين خَرَجَت عينى من كهفها وارتخت عضلاتى المشدودة دفعة واحدة وأنا أهتف متألمًا :

- على ؟؟؟!!!!

- على أخويا

ربتت أمى على يدى التى أصبحت باردة كالثلج:

- ايوه يا شريف على أخوك , بلاش تظلمه يا ابنى أكتر ما الدنيا ظلمته , وعلى فكره " على " بيتصل بيا كل يوم يطمن عليك , مهما دورت ومهما قابلت مش هتلاقى أحن ولا أطيب منه , اتظلم من يوم ما بقى فى بطن أمه كفايه عليه كده بقى يا ابنى

نظرت لها مصدومًا :

- بس على كان بيسرقنى

قطعت أمى جملتى وقالت غاضبة :

- لأ , على عمره ما سرقك دى لعبة بتتعمل عليك زى اللى اتعملت على أبوك , أنا ما أعرفش تفاصيل بس على اتصل بيا فى يوم و قالى ان فيه حاجة خايف انها تأذيك وانه هيحكيلك على كل حاجة لما يتأكد من اللى شاكك فيه , وسألنى إذا كنت عرفت حاجة عن جوازة ابوك وأنا قولتله لا , والله يا ابنى كان خايف وقلقان عليك يمكن أكتر منى ولما عرف انك كويس ارتاح .

روح له يا ابنى وراضيه دا مسكين وبيحبك ومالوش غيرك وافهم منه ايه اللى بيحصل من ورا ضهرك , أنا طول الوقت كان نفسى أقولك بالذات لما هشام مات , بس كنت خايفة من رد فعلك وطالما ربنا أراد انك تعرف يبقى روحله وقربوا من بعض وعوضوا بعض عن اللى راح منكم , كفاية حزن بقى

نهضت من مقعدى وأنا أنوى تصحيح خطأى الفادح حين استوقفتنى أمى قائلة :

فيه جزء من الحكاية انت لسه ما تعرفوش .

جلست مرة أخرى ونظرت لأمى متسائلًا :

- ايه اللى ما أعرفوش

استكملت أمى حديثها :

- قبل ما سيف يموت بسنة لقى إنذار جايله من البنك بيقول انه لو ما سددش القرض اللى واخده بضمان الشركة هيتحجز عليها وتتباع فى مزاد علنى , وطبعًا ده مش القرض اللى كنا واخدينه لاننا سددناه بعد ما اشتغلت الشركة بشهور

- امال ايه القرض ده ؟

- ده اللى كان هيجنن أبوك , راح البنك وقلب الدنيا وقالهم انه ما أخدش قروض وان ورق القرض أكيد مزور وهيرفع قضية يطعن فى التوقيع , لكنه اكتشف ان الورق سليم وتوقيعه على الورق كمان سليم

- راح الشركة وكان أخوك هشام الله يرحمه شغال معاه وفضلوا هما الإتنين يدوروا علشان يعرفوا ده حصل إزاى بالذات ان قيمة القرض كانت ب 5 مليون جنيه وده رقم مستحيل يسدوه بسهولة إلا لو باعوا الشركة كلها

وفى عز ما كانت عقولهم هتتشل من التفكير جه لأبوك اتصال من الست هاله بتقوله انها بعد ماتجوزت جوزها كان انسان سيء جدًا بهدلها وخد منها كل الفلوس اللى كانت معاها وعاشت معاه سنين عذاب والآخر طلَّقْهَا ورماها فى الغربة لوحدها اتهدلت واتلطمت سنين لحد ما إفتكرت انها كانت واخده ورق من الشركة , أبوك ماضى فيه

على بياض , رجعت مصر وعملت لنفسها توكيل عام وخدت القرض من البنك وهددت أبوك يا إما يديها 3 مليون جنيه أو تعمل نفسها ما إتكلمتش أصلًا وتاخد ال 5 مليون بتوع القرض وسيف يسددهم .

خاف أبوك يديها الفلوس وما ترجعش القرض , سألها ايه الضمان وليه ما خدتش الفلوس وما كانتش قالتله حاجة , ردت عليه وقالتله انها ما عملتش كده لأنه ربى ابنها أحسن تربية ودخله جامعة محترمة وكان أب كويس معاه وانها ما كانتش ناوية تأذيه اصلًا لكن ظروفها السيئة اضطرتها تعمل كده

كنت انت وعلى فى أخر سنة فى الجامعة وما كنتوش تعرفوا حاجة عن شغل والدكم , لكن هشام كان مع والدك فى كل خطوة فاضطر سيف انه يحكى لهشام عن جوازه وعن أخوكم على

هنا تذكرت رسالة هشام " خلى بالك من أخوك يا شريف " ,, يااااه ياهشام حتى وانت فى دنيتك بتفكر فينا

نظرت لأمى متسائلًا :

- وادوها الفلوس

ردت امى :

- اخوك هشام رفض الإبتزاز اللى بتعمله معاهم وراح رفع قضية يطعن فيها على صحة التوكيل وطلب أصل ورقة التوكيل فى النيابة

وفعلًا النيابة طلبت من الشهر العقارى أصل الورقة اللى فيها توقيع سيف وعرضوها على خبير خطوط اللى أثبت ان التوقيع قديم و الورقة نفسها قديمة لكن الكتابة عليها جديدة , وطبعًا دا أثبت صحة كلام والدك وأخوك واتعفى أبوك من تسديد قيمة القرض وبدأت الشرطه تحط خطة علشان تقبض على الست دى

طبعًا هى ما كانتش عارفه أى حاجة ومتوقعة إن سيف أول ما هيسمع تهديدها هيبعت لها الفلوس على طول لأنه متأكد انها زى ماكانت بتسرقه فأكيد خدت احتياطاتها وخدت لها كام ورقه عليهم توقيعه , فهيتقى شرها ويدفع

نظرت لى مبتسمة :

- أصل سيف طول عمره طيب والناس كلها بتطمع فيه

المهم اتفق أبوك مع الشرطه انه هيجاريها ويحددوا ميعاد يوديلها فيه الفلوس والشرطة تقبض عليها متلبسة , واتصل سيف بهاله وحدد معاها ميعاد فى فندق كانت قاعده فيه لحد ما تاخد الفلوس وتسافر تانى , وكانت الشرطة عامله احتياطتها وبمجرد ما سيف دخل واداها شنطة الفلوس كانت الشرطة دخلت وراه وقبضت عليها , واتحكم عليها بالسجن 10 سنين لكن ...

- لكن ايه ؟؟؟

- لكن ماتت بعد مادخلت السجن بكام شهر

- ماتت ؟؟

- ايوه .

- ومش دا بس اللى كان مسبب لابوك عقده الذنب

نظرت لها وأنا اخشى مفاجات جديدة :

- أمال فيه ايه تانى ؟

ردت بأسى :

- عرفنا بعد كدا انها كانت مخلفه من رجل الاعمال دا ومنعرفش ابنها راح فين لحد دلوقتى

- طبعًا أبوك اكتئب وحمّل نفسه ذنب موتها وتشريد ابنها بالذات لما شافها يوم القبض عليها كانت فى حالة وحشه باين عليها الهدلة وملامحها كبرت ولا عشر سنين , دا على حد وصف سيف

- وبعدين ؟؟

- وزى ما إنت عارف فضل والدك مريض كام شهر وفى اكتئاب حاد لحد ما صحته اتدهورت واتوفى الله يرحمه

نظرت لها بحزن :

- بس انتوا كنتوا مفهمنى ان الشركة كانت بتخسر ودا سبب اكتئاب بابا

- ما احنا يا ابنى مكناش عاوزين نشيّلك الهمّ بدرى

- وابنها دا فين دلوقتى ؟

نظرت أمى بحزن :

- للأسف محدش يعرف

- طيب على يعرف حاجة عن الموضوع ده ؟

- أيوه , على عارف كل حاجة , قاله والدك علشان يسامحه لما حس انه هيموت

- طيب محاولش يدور على أخوه ؟

- حاول كتير أوى لكن فى الاخر عرف انه لسه مسافر وما رجعش مصر مع أمه ولما يئس بطل تدوير

نظرت لى أمى متسائلة :

- صحيح يا شريف , انت جبت منين مفتاح المكتب وايه اللى عرفك بيه أصلًا ؟

ابتسمت وأنا أتذكر رسالة والدى :

obeikandl.com

- بابا الله يرحمه كان مسجلى فيديو فى تليفون هشام الله يرحمه , لقيت التليفون دا عندى بالصدفة ولنا فتحته لقيت الفيديو ولقيته بيقولى فيه ان عنده سر أنا معرفوش ودلنى على الدرج والمفتاح وطلب منى انى اجيلك انتى اللى تحكيلى , وبلغنى أطلب منك تسامحيه

نظرت أمى بأسى :

- مسامحاه يا ابنى , ربنا يسامحه ويسامحنى , والله يا ابنى كل يوم كنا بنتمنى نقولك ونخاف تكره أبوك بس سبحان الله كل شىء بميعاد ومكتوبلك انك تعرف دلوقتى وعلى فكره يا ابنى أبوك كتب الشركة بإسمكم انتوا التلاته علشان ما يضيَّعش حق أخوك بعد موته زى ما ضيعه وهو عايش

نظرت ناحية النافذة وقلبى يعتصره الحزن على أخى وما ألم به وأنا الذى زدته هما على هم , وتذكرت كلمات هشام التى كان يقولها لأبى وأيقنت أنها كانت جزء من حوار دار بينهما فى وقت حدوث تلك المشكلة.

استأذنت أمى بالذهاب بعدما نظرت لساعتى ووجدتها أفاقت نصف الليل حتى أذهب لأمانى والدكتورة اللتان ينتظران على أحر من الجمر , لأفصح لهم عن سرى الخفى .

***

فى منزل الدكتورة ..

وجدت الجميع فى انتظارى بكل ترقب , قصصت لهم كل ماحدث وسط نظرات الإندهاش تارة والاستنكار تارة أخرى , حتى أنهيت مافى جعبتى ونظرت للدكتورة محدثًا إياها :

- دلوقتى فهمت كان يقصد إيه هشام لما قالى " من النهارده حياتك اتغيرت " ولما وصلك رسالته إنى أخلى بالى من أخويا , هشام ما كانش يقصد نفسه لكن كان يقصد على

ابتسمت الدكتورة بهدوء :

- كنت عارفه ان فيه حاجة تاعبه أخوك ومش مريحاه وعلشان يرتاح فى حياته التانية لازم يبلغنا بيها , الميت بيفضل أسير لحد ما يرد أمانته , وقتها روحه بترتاح وتسرح بحُرّية , أخوك كان عايز يعرَّفَك بقصة جواز والدك وتقسيم الميراث وحق أخوك علشان ما تظلمهوش زى ما أبوك ظلمهم , ولانه اتوفى قبل ما يحكيلك فكان بيحاول بكل الطرق يوصلّك ومستنى اللحظة المناسبة , واللحظة المناسبة دى جت لما انت كنت بتموت واتعرضت غصب عنك لتجربة الخروج من الجسد , وقتها ما صدق أخوك يقدر يتواصل معاك علشان يبلغك رسالته

استكملت متعجبًا :

- أكتر حاجة مزعلانى ان هشام خاف يقولى الحقيقة , خاف انى مصدقش وأرفض أدى على نصيبه من ورث أبويا , أبويا ميت بقاله

خمس سنين وهشام ميت من سنة يعنى قعد أربع سنين عارف ومتردد يقولى , يمكن كان بيقول لنفسه بكره يعقل وابقى أقوله لحد ما مات , للدرجة دى أنا كنت وحش

ربتت أمانى على يدى :

- ما تلومش نفسك يا شريف لو حد فى مكانك وفجأة جم قالوله ليك أخ وهيقاسمك فى ورثك أكيد كان هيشك ومش هيصدقك , ويمكن ربنا عمل كل ده علشان تصدق وترجَّع حق أخوك وتعوضه عن الظلم اللى شايفه فى حياته

مازالت الدكتورة فى شرودها حين انتبهتُ أنها لا تتجاذب الحديث معنا فسألتها بقلق:

- مالك يادكتورة , ساكته بقالك كتير زى ما تكونى مش معانا

أجابت الدكتورة بشرود :

- لسه فيه حاجة ناقصة , حاسه ان فيه حاجة لسه غامضة مش مفهومة , حاجة جديده حصلت حفِّزت روح هشام انها تجيلك دلوقتى بالذات , أحلامك اللى حكيتهالى لسه فيه حته مش عارفه سببها ومش لاقية لها تفسير فى كلام والدتك

انتبهت لها أكثر:

- زى ايه

نهضت من مقعدها وهى تتمشى ذهابًا وجيئة :

- حلمك اللى شوفت فيه هشام بيعملك عملية فى بطنك , وحلمك اللى دايمًا تشوف فيه نفسك بتغرق , خناقة على ونهلة , الأكل المقزز اللى بتاكله , تحذير هشام وكأنه بيقولك خلى بالك , حاجات كتير حكيتهالى مش لاقيه لها تفسير , الحاجة الوحيدة اللى اتفسرت لحد دلوقتى هى كلمة السر وحق على اللى كان هشام بيوصيك تخلى بالك منه وده طبعًا عرفناه من التسجيل اللى قادنا لورقة الجواز وتفسير والدتك للموضوع كله , لكن بردو أنا مصممة ان فيه حتة مجهولة , متأكد ان والدتك ما قالتش أى حاجة غير اللى قولتها لينا

حركت رأسى علامة النفى :

- لا ما قالتش أى حاجة غير اللى قولتهالك

- طيب حاول تفكر أو تفتكر أى حاجة

وضعت يدى على رأسى فى تألم :

- مش قادر لا أفكر ولا حتى أفتكر أى حاجة أكتر من اللى قولتها , الصداع بينهش فى راسى , كويس أوى انى لسه قادر أتكلم ولا حتى أفهم

سألتنى أمانى بشفقة :

- هو العلاج ما عملش نتيجة لسه

- بالعكس بحس انى بتعب أكتر لما باخده

ابتسمت أمانى :

- أنا كنت فاكره انك لما هتعرف السر هترتاح , انت خلاص أخيرًا عرفت كل حاجة وما بقاش فيه ألغاز

ابتسمت متألمًا :

- شكلى كده مش مكتوبلى الراحة

ابتسمت الدكتورة :

- بالعكس يا شريف انت فعلًا تقريبًا عرفت السر وحليت لغزه وحتى لو لسه فيه حته مجهولة بس يمكن تكون الحته دى غير مؤثرة والمفروض دلوقتى بقى ترتاح وتريح دماغك عن التفكير شوية

ضحكت وأنا أشير لرأسى :

- والله يا دكتورة هى اللى مش راضية تبطل

جذبتنى أمانى من يدى تحثنى على النهوض :

- طيب قوم بينا نروح للدكتور اللى متابع حالتك

- نروح فين يا أمانى باقى ساعات ع الفجر , بكره إن شاء الله نروح أنا النهارده شفت وسمعت كتيييييييييير أوى ومحتاج ارتاح

obeikandi.com

- طيب هتروح امتى علشان أجى معاك

- خليكى انتى يا أمانى كفايه بهدلة لحد كده

- ما تقولش كده يا شريف احنا إخوات وانت عارف ده كويس

- خلاص بكره إن شاء الله هنروح بس الأول هروح لوحدى لـ على, فيه حاجات كتير محتاجين نقولها لبعض

- أوك هستناك تتصل بيا

نظرت للدكتورة مبتسمًا :

- مع إنى مش مصدق إنى بقول كده بس بجد شكرًا لولاكى ما كنتش هقدر أفهم أى حاجة ولا أحل لغزى دا ولو بعد ميت سنة

نهضت الدكتورة وصافحتنى بابتسامة :

- بالعكس يا شريف انت ضيفتلى سر ممتع استمتعت بحلّه وعلى فكرة انت هتجيلى تانى تقولى باقى اللغز وأنا مستنياك

- ادعيلى أعرفه وأنا أكيد هاجى أحكيهولك

ودعناها بابتسامة إمتنان وحملنا يوسف النائم منذ ساعات واستقللنا السيارة حتى أعيد أمانى لأمى التى طال انتظارها على وعد منى أن أصحبها معى غدًا للطبيب حتى تطمئن على صحتى وبعدها تعود

لاستكمال حياتها التى أوقفتها و لمنزلها الفارغ مرة أخرى , نظرت للطريق وفى عقلى دار سؤالٌ واحدٌ فقط "ليه نهلة كانت بتكرَّهنى فى على ".

***

آذان الفجر..

فى المنزل ..

وجدت نهلة فى انتظارى وكعادتها بمجرد وصولى استقبلتنى بضمه وقبلة حارة وهى تسألنى بفضول المرأة :

- كنت فين طول النهار, قمت من النوم بردو ما لقيتكيش جنبى

أجبت عليها متعجبًا :

- غريبة يا نهلة انك ما بتتصليش بيا خالص وأنا برا ولا حتى تسألينى هترجع امتى زى ما الستات بتعمل

ردت مبتسمة :

- انت عارف يا حبيبى انى مش زى الستات وما بحبش الخنقة بتاعتهم

انتهزتها فرصة حتى لا أضطر لتبرير تأخرى :

- طيب بما إنك بقى مش زى الستات وما بتحبيش الخنقة بتاعتهم , فأنا بقى مش هقولك كنت فين

إبتسمت نهلة وقالت بغنج :

- طيب ولو قولتلك علشان خاطرى

ابتسمت وألقيت لها جملة قصدتها مباغتة لأرى وقعها وأتهرب من سؤالها المُلِحّ :

- مش أنا رجَّعت " على " الشغل

انتفضت نهلة متسائلة :

- على ؟؟ , ورجعته ليه انت مش كنت طردته

جلست على الأريكه وأجبت بلا مبالاة :

- حسيت ان الشغل مش ماشى من غيره

ردت بغضب :

- طيب ما أنا قولتلك أسيب شغلى واجى أشتغل معاك وانت رفضت وطلبت منك تعملى توكيل وبردو رفضت ولا انت بتثق فى صاحبك وما بتثقش فى مراتك

هممت أن أقول لها أنه أخى وليس صديقى ولكنى امتنعت حتى أعرف ما يجول بخاطرها فأردفت مبتسمًا :

obeikandl.com

- سيبك من الشغل والكلام الفاضى ده وخلينا فى المهم , ماتيجى نقوم ننام

دخلت غرفة النوم وهى تلحق بى حين ردت بعصبية :

- انت بتغير الموضوع ليه , هو على قالك حاجة

- حاجة ؟ حاجة زى ايه

- معرفش زى ايه أنا اللى بسألك

- طالما بتسألى يبقى فيه حاجة أنا ما أعرفهاش

أجابت متلعثمة :

- والله مافى حاجة بس أكيد هو حاول يوقع بينا ويقولك حاجات وحشه عنى علشان تكرهنى وترجَّعُه الشغل , أمال انت رجعته ازاى ؟

مررَّت أصابعى على وجهها مبتسمًا وقد تأكدت شكوكى بانفعالها وأردفت :

- ايه يا قلبى انتى فجأة بقيتى كتيرة الأسئلة ليه وعملتى زى الستات الوحشين اللى بتكرههم

أدرت وجهى وأنا أتصنع خلع ملابسى وسألتها :

ما قولتيليش يا نهلة احنا نقدر ازاى نتعاقد مع شركة hello medical اللى كنتى اقترحتيها عليًا

ردت نهلة فى شك :

- وإيه اللى فكرك بيها

- انتى ياقلبى اللى فكرتينى بيها بتحقيقك عن على وبعدين قلت طالما هى شركة كويسة طيب ايه المانع اننا نشتغل معاهم

- والله دى شركة كبيرة وليها إسمها ومش سهل التعاقد معاها , هتصل بيهم بكرة واطلب منهم أوراق التعاقد علشان نمضيها ولو حتى يبعتوها بالفاكس

- وعلى ايه يعنى احنا مش مستعجلين أوى كده لسه قدامنا شهرين على نهاية عقدنا مع الشركة اللى بنستورد منها حاليًا

استطردت بعصبية

- براحتك يا شريف

- طيب مش تقوليلى الأول ايه المعلومات بتاعة الشركة دى وبياناتها

- ما أنا قولتلك قبل كده انها شركة أجنبية الأدوية بتاعتها ممتازة ومقدمه تسهيلات كتير فى الدفع , وقالوا انهم هياخدوا نص الفلوس بس عند الإستلام والنص التانى لما الأدوية تتوزع وتجيب حقها

مازلت أتصنع تبديل ملابسى حتى لا أنظر اليها فتكشف أمرى :

- بس مش غريبة على شركة بالحجم ده وبالجودة دى وتقدم تسهيلات كتير كده

وأردفت بخبث:

- دى حتى الشركة اللى كان على بيقترحها ما كانتش هتعمل معانا كده

ردت بعصبية :

- يادى على اللى قرفتنا بيه طالما واثق فى الشركة اللى جايبها بتسألنى عن الشركة التانية ليه

- طيب خلاص خلاص انتى اتعصبتى كدا ليه

- علشان بتشكك فى كلامى

- ومين قال انى بشكك فى كلامك

- باين من أسلوبك

- وهو لما أسأل على تفاصيل شركة هتتعاقد معاها شركتى أبقى بشكك فى كلامك

- عمومًا دى شركتك وانت حر فيها , تصبح على خير

obeikandl.com

قالتها و أعطتنى ظهرها لتنهى نقاشنا , أنهيت تبديل ملابسى ولحقتها واستدار كل منا حتى لايرى الآخر

ولأول مره لم أرى هشام .....

***

العاشرة صباحًا ..

ذهبت لمنزل " على " الذى اعتدت ذهابى إليه طوال فترة وجودنا فى الجامعة , طرقت الباب ففتح لى وبدا عليه الدهشة من حضورى :

- شريف .؟؟

- ازيك ياعلى

- الله يسلمك يا شريف اتفضل

دخلت المنزل وانتظرته حتى أغلق الباب ودخل خلفى ..

سألنى بقلق :

- فيه حاجة حصلت

أجبت بابتسامة خافتة :

- حصلت حاجات كتير أوى

- مش فاهم

- لسه قدامنا العمر كله هفهمك كل حاجة

سأل باستحياء :

- تقصد انى هرجع الشغل تانى

أجبت بتهكم :

- دا انت شكلك اتكحرتّ ع الاخر, حد قالك تسرقنى

نظر للأسفل كالعادة :

- والله عمرى ماسرقتك وبكره الأيام تثبتلك

جلست على أقرب مقعد وأنا أعود بظهرى للوراء :

- هيا لسه هتثبت حلو أوى كده

جلس على بجوارى وهو ينظر لى متسائلًا :

- مالك يا شريف انت متغير كدا ليه

ابتسمت وأنا أضع يدى على كتفه :

- لا متغير ولا حاجة أنا جاى أرجعك الشغل

نظر على للأسفل مرة أخرى وسألنى بطفولة :

obeikandl.com

- ومش هتطردنى تانى ؟

ضحكت حتى اهتز جسدى كله من نبرته الطفولية وخجله المفرط , ثم ابتسمت بهدوء وأنا أنظر له :

- محدش يقدر يطردك , هو حد بيتطرد من ملكه

نظر إلىَّ بتعجب :

- ملكى ؟؟

-طبعًا , ليك فيه زى ما ليا بالظبط

تلعثم على متحرجًا :

- ايه اللى بتقوله ده يا شريف

- بقول الحقيقه ..... ياخويا .....

ترقرت عين على بالدموع وسقطت دموع الفرحة على وجهه واقترب منى واحتضننى بقوة وكأنه يتمنى مثل ذلك الاحتواء من سنوات ..

- ياحبيبى يا شريف

احتضنته أنا الآخر وقلت محاولًا تخفيف حدة الموقف :

- خلاص يا ابنى غرَّقتلى القميص

obeikandl.com

ابتسم على وهو يمسح دموعه المتساقطة :

- عرفت ازاى ؟

نهضت واقفًا :

- يووووووووه الموضوع كبير أوى هبقى احكيهولك بعدين بس دلوقتى أنا عايزك تقولى كل اللى عندك

تلعثم على وسأل مترددًا :

- وايه اللى خلاك تقول انى مخبى عنك حاجة

رفعت أصابعى بالعد :

- أولًا ماما قالتلى ان فيه حاجة انت عاوز تتأكد منها وتقولهالى , ثانيًا موضوع الخلاف اللى بينك وبين نهلة مش مفهوم حاسس ان بينكم حاجة أنا ما أعرفهاش , ومستغرب انك ما حاولتش تدافع عن نفسك لما واجهتك بكلام نهلة , حاسس ان فيه حاجة وحاجة كبيرة كمان , ثالثًا : انت مدب وباين من شكلك وعرقك انك مخبى حاجة

ربت على كتفه مطمئنًا :

- احكيلى كل حاجة ياعلى , ما بقالناش غير بعض

زفر على بحزن واضح وأغمض عينيه فى محاوله لفتح خزائن أسراره وإخراج ما استكان فيها ونظر لى مستسلمًا :

obeikandi.com

- أنا هحكيلك كل حاجة يا شريف , بس اوعدنى الأول انك ما تأذيش نهلة

رددت متعجبًا :

- نهلة ؟؟ طيب أنا هأذى نهلة ليه وانت ليه خايف عليها أوى كده ؟

نظر " على" للأرض وفجَّرَ قنبلة كادت أن تودى بحياتى لولا انى اعتدت المفاجآت:

- لازم أخاف عليها ..... مش أختى

ركضت نحوه وجذبته من كتفيه تجاهى ..

- نعم ياخويا , اختك ازاى يعنى ؟

- للأسف أختى

- يعنى ايه أختك , يعنى نهلة أختى أنا كمان ؟؟؟؟

- لأ يا شريف نهلة أختى من أمى بس

تذكرت كلام والدتى عن ابن هالة المجهول وخبطت رأسى بالحائط مصدومًا :

- يانهار اسود , نهلة بنت هالة

- أيوه

obeikandl.com

جذبت على مرة أخرى ورمقته بنظرة غضب والشرر يتطاير من عينى :

- وانت عرفت الكلام ده ازاى ؟ ومن امتى؟ وما قولتليش ليه ؟

أزاح على يدى بهدوء :

- والله العظيم مااعرف غير من كام يوم

- ازاى ؟ احكيلى

جلس "على" على مقعده وجلست بجواره متحفزاً :

- فاكر لما ادتنى قسيمة الجواز والبطايق بتاعتك انت ونهلة علشان أخلصلكم جوازات السفر وتطلع تكمل علاجك برا

- أيوه فاكر

- وقتها نهلة اتخانقت معاك بحجة انك بتعتمد عليَّا فى كل حاجة ومش مديها فرصة تدخل حياتك

- أيوه فعلًا ووقتها كمان أصرت انى أتصل بيك وأخليك تجيبلى الأوراق وما تخلصش إجرائات جوازات السفر , بس أنا قلت انها غيرانة من علاقتى بيك ومش عايزاك تدخل فى حياتنا

- دى كانت حجة علشان تاخد منى الأوراق بسرعة قبل ما بص فيها واشوف إسم الأم

obeikandl.com

- وايه اللى حصل؟

استطرد على :

- لما اتصلت بيا وحكيتلى خناقتك مع نهلة استغربت وحسيت ان فيه حاجة مش مظبوطة , طلعت الورق و قريته كلمة كلمة وكانت الصدمة لما شفت إسم الأم , وقتها حسيت انى مشلول مش عارف اعمل إيه , بالذات وأنا عارف كويس إن أمى كانت متجوزه واحد تانى ومخلفه منه وانى دورت كتير على أخويا ده ما لقيتوش , ما بقتش عارف أفرح ولا أزعل , ما بقتش عارف إذا كانت نهلة تعرف إنى إخوها ولا لأ , ولو لأ طيب ليه عملت دا كله علشان تاخد الورق , لدرجة انى كدّبت نفسى وقلت يمكن مجرد تشابه أسماء .

خدت إسم الراجل اللى هو أبو نهلة وروحت بحثت عنه فى السفارة الأرجنتينية وفعلًا طلع رجل أعمال مقيم هناك , اتصلت بواحد صاحبى عايش فى الأرجنتين وكان بيدور معايا على أخويا واديته العنوان اللى جبته من السفارة وقلت له يروح يسأل لى عليه, وبعدها بيومين كلمنى وقالى ان الراجل ده كان متجوز أكتر من واحده , بيتجوزهم ياخد اللى وراهم واللى قدامهم ويتجوز عليهم واللى مش عاجبها يطلقها ويرميها , ولما سأل الناس اللى هناك عن أمى هالة , قالوله إنها كانت متجوزاه ومخلفه بنت لكنها سافرت مصر وسافرت وراها بنتها وما رجعوش هنا تانى ..

نهض على واتجه ناحية النافذة وكأنه يسترجع ما حدث :

- وقتها اتأكدت شكوكى واتأكدت إن نهلة فعلًا أختى من أمى , بس فضل جوايا السؤال اللى ما لقيتلوش إجابة هل نهلة تعرف إنى أخوها فعلًا ولا لأ ؟ , وجت هنا ازاى ووصلتلك انت بالذات ازاى ؟ , وهل تعرف انك إبن الراجل اللى كان متجوز أمها ولا لأ ؟ , مليون سؤال كان مطيَّر النوم من عينى , وفعلًا استغليت الوقت اللى انت ما جيتش فيه واستنيتها تيجى الشركة وطلبتها فى مكتبى وواجهتها ....

***

صمت مطبق ..

حاولت استيعاب ما سمعت ولكنى فشلت ..

الصداع دمَّر نصف خلايا مخى وكلام على دمَّرَ النصف الآخر..

نظرت لعلى فى لهفة وترصد :

- نهلة قالتلك ايه لما واجهتها

ابتسم فى تهكم :

- طلعت عارفه

رددت بتعجب شديد :

- عارفه ؟؟

obeikandl.com

- أيوه

- وبعدين

جلس على وأسند ظهره للمقعد ونظر لسقف الغرفة وكأنه يستحضر ذلك المشهد :

- قولتلها ان إسم أمها فلانه الفلانى وده بالظبط إسم أمى أنا كمان واستنيتها تتفاجئ , تتخض , يبان عليها أى دهشة بس للأسف كانت أبرد من لوح التلج ردت من غير حتى ما تبص لى يادوب كلمتين اللى قالتهم

- آه وبعدين

- يا نهلة أنا بقولك إنى أخوكى تقوليلى اه وبعدين

- طيب ما أنا عارفه انك أخويا ما جيبتش جديد

نظر لى على مصدومًا :

- تخيل يا شريف ان الصدمة اللى كنت متوقع أشوفها على وشها , شافتها هىَ على وشى

سألتها وأنا مصدوم :

- ولما انتى عارفه إنى أخوكى ما جيتيش قولتيلى ليه ,وليه كنتى مخبية , وكنتى هتفضلى مخبية لحد امتى؟

ردت عليًّا والشر طالع من عنيها :

- لما اخلص انتقامى

قاطعته مفزوعًا :

انتقام ايه ؟؟

نظر لى على بحزن :

كانت عايزه تنتقم من أبوك علشان اللى عمله فى أمنا , وحمّلِتُه غلطة جوازها من الراجل الواطى اللى اتجوزته وسافرت معاه , وحمّلِتُه ذنب سجنها وموتها فى السجن مذلوله مكسورة وحمّلِتُه ذنب السنين اللى عاشوها فى الفقر , وعلشان تضمن انضمامى ليها فى خطتها قعدت تحكيلى قد ايه أبويا ده راجل ظالم ومفترى وانه رمانى فى مدرسة داخلية علشان يتفرغ لولاده التانيين اللى هو انت وهشام طبعًا , وانه حرمنى من ميراث ليا حق فيه واداهولك انت وهشام , وكلام كتير كده لزوم التسخين

- وانت قولتلها ايه يا على

- قولتلها انى ما شوفتش أى حاجة وحشة من الراجل ده وعمره ماحرمنى من حاجة وبالعكس أنا عيشت فى مستوى كويس جدًا وفى مدارس محترمة واتعلمت أحسن تعليم واتربيت أحسن تربية وكان بيبعت لأمى مصروف شهرى لد ما إتجوزت , لكن هى بقى أهملت

حياتها ورمت أخطائها وأخطاء أمها على شماعة أبويا , ولما لقت ان مفيش أمل إنى أقتنع وأشترك معاها فى خطتها هددتنى إنى لو وقفت فى طريقها أو عرَّفْتَك أى حاجة , هتنتقم منك ومنى وهتهد المعبد ع اللى فيه .

سألت على :

- طيب هى كانت عاوزه تنتقم من أبويا واهو أبويا مات , هى عاوزه ايه بقى دلوقتى

- عايزه تنتقم منك ومن والدتك ومن أمانى ومن هشام كمان لو قدرت تطلعه من قبره , جواها كره عامى عنها عن الحقيقة , ماشيه بمبدأ واحد اللى مش هتقدر تملكه هتدمرة .

شعرت بتبلد أنسانى الشعور بالألم , نظرت لـ على متسائلًا :

- و قالتلك ايه هى خطتها اللى ناويه تنتقم بيها ؟

- هى طبعًا ما قالتش لإنها عارفه إنى هقولك , لكن وسط كلامها قدرت أجمع موضوع التوكيل اللى مش راضى تعملهولها و خمّنت انها كانت عاوزاه علشان تقدر تبيع لنفسها الشركة وأى حاجة تملكها وتبقى بكده انتقمت منكم كلكم ورجَّعِت حق أمها اللى فاكراكم خدتوه , علشان كده هى جت مصر بعد ماعرفت بسجن أمى وفضلت تخبط يمين و شمال على أمل إن أمى تخرج ويكملوا حياتهم لكن لما أمى ماتت اتقفلت كل البيبان فى وشها وخططت إنها تنتقم من أبويا , لكن على ما

جهّزِت خطتها كان أبويا حصَّل أمى ومات بعدها بعقدة الذنب وما بقاش قدامها غيرك انت وهشام تنتقم منكم , رجعت تانى عدِّلِت خطتها وشافت شغل وكوِّنت حياة علشان تعرف تظهر فى حياتك وده كلفها حوالى 3 سنين بتجهز فيه علشان لما تشوفها تبقى البنت الكاملة بالنسبة ليك وراحت اتعرفت على كام بنت من عيلتك عزموها على فرح قريبك اللى شفتها فيه وطبعًا عملت كل اللى تقدر عليه علشان توصلك وتتجوزك .

- طيب وبعد مارفضت اعملها التوكيل

-للاسف مخها الشيطانى خلاها تفكر فى شركة **hello medical** ودى شركة معروفة فى الوسط إنها بتصدر أدوية فاسدة للناس اللى معندهاش ضمير وعاوزه تكسب وخلاص , فتشترى الأدوية المنتهية الصلاحية بسعر رخيص وتبيعها بسعر أغلى, وطبعًا الشركة اللى بتشترى منها بتستفيد هى كمان لأنها ما بتشتريش الأدوية بنفس سعرها فى الشركات المحترمة , لكن بتشتريها بنص السعر ويمكن ربعه كمان وتوزعها على الصيدليات وتقبض الفرق .

- وكانت عاوزه تعمل ايه بالشركة دى

- كانت عاوزه تقنعك انك تتعامل معاهم وبعد ما تستورد الأدوية منهم تبلغ عن الشركة فتتقفل وتتصادر فلوسكم وتعيشوا الفقر والتلطيم اللى هى عاشت فيه وزى ما قولتلك اللى مش هتقدر تطوله هتدمره

أعدت ظهرى للوراء وفرت منى دمعة حارة مزَّقَت قلبى فى طريقها :

- ياااااااااه كل ده يا نهلة فكرتى فيه , فكرتى فى كل طريقة تأذينى بيها وأخر اليوم تترمى فى حضنى وكأنك الزوجة الوفية المخلصة

رَبَتَ أخى على كتفى الذى اهترئ من كثرة التطييب :

- ما تقلقش يا شريف أنا هددتها لو عملت كده إنى هبلغ عنها وهشهد ضدها لدرجة انها طلَّعِتْلِى من شنطتها جواب المفروض إن أمى كتبهولى علشان تحكيلى فيه عن المآسى اللى عاشتها يمكن قلبى يحن , بس أنا ما أخدتوش منها أصلًا , الأم اللى تسيب ابنها وتروح تتجوز وما تفكرش حتى تسأل عليه مش هيغفر لها شوية حبر على ورق

نظرت متألمًا :

- وانت ليه ياعلى ما قولتليش على كل ده , ليه ما حذرتنيش ؟

أجاب على وهو ينظر موضع قدميه :

- خفت يا شريف , خفت تعمل فيها حاجة لو عرفت , وقولت انها مش هتكمل خطتها دى بعد ما هددتها , حاولت أحميك من غير ما أشركك , وفى نفس الوقت اللى اكتشفت فيه كل حاجة كنت انت خوَّنْتِنِى وسرَّقْتِنِى , تفتكر لو كنت قولتلك كل الكلام ده كنت هتصدقنى ؟ ولَّا كنت هتعتبره تلزيق تهم

زفرت بحرارة :

- عندك حق ياعلى , ما كنتش هصدقك

نظرت له مرة أخرى عندما تذكرت أمر تلك الأخطاء الحسابية :

- قولى صحيح ياعلى , لما انت ما سرقتنيش أمال الأخطاء الحسابية دى طلعت ازاى , وما تقوليش نهلة , نهلة ملهاش علاقة بالدفاتر

ابتسم على فى حزن :

- نهلة عملت معايا اللى عملته مع هشام وأمانى

أفزعتنى كلماته فصحت متسائلًا :

- تقصد ايه ؟

ابتعد على من جانبى خشيه أن تصيبه لعناتى ونظر بأسف قائلًا :

- نهلة هيا السبب فى موت هشام , بس مش بالمعنى الحرفى , يعنى مش هى اللى قتلته

لحقته حيث ذهب وسألته وأنا أجز على أسنانى:

- أمال سبب فى موته ازاى , إنطق

- نهلة جنِّدِت واحده من اللى شغالين فى الشركة , أغرتها بالفلوس ووعدتها بمبلغ شهرى تاخده آخر كل شهر بشرط انها تقولها كل حاجة بتحصل فى الشركة , ويوم موت هشام نهلة استغلت انه موجود فى

obeikandl.com

الشركة بالليل ومعاه السكرتيرة وخلت البنت دى تتصل على نهلة وتقولها إن جوزك بيخونك مع سكرتيرته , كان هدفها تفرق بينهم بعد ما شافت قصة الحب اللى جمعتهم , بس القدر حط بصمته وانتهت بموت هشام وهو خارج ورا أمانى بيحاول يشرح لها اللى حصل

- وانت تعرف كل الكلام ده ازاى

- كل الكلام ده قالتهولى البنت اللى جندتها لما ظبطتها وهى بتزوَّر فى الدفاتر بأمر من نهلة , قالتلى إن نهلة كانت عامله نسخة من مفتاح مكتبى سرقتها منك طبعًا وكانت مديَّه البنت دى نسخة وبتخليها تيجى فى أيام الطلبيات بالليل تفتح الكمبيوتر وتدخل على قاعدة البيانات بشفرة هى جايباها من برا بتفك كلمات السر وتعدل فى المبالغ المدفوعة للطلبية يعنى تزود فى المبلغ المكتوب علشان أبان قدامك إنى باخد الفرق فتفقد ثقتك فيا وتكدِّبنى فى أى كلمه أقولها فى حق نهلة لما أحب أواجهك

استطرد على بحزن :

- ولما بدأت مشكلة الحسابات دى كنت باجى كل يوم الشركة بالليل واقف قدامها أراقب اللى خارج واللى داخل , ولما لقيت البت دى داخلة وهى ملهاش شغل تجيله بالليل أصلًا , راقبتها ودخلت وراها وسيبتها لما دخلت ع الملفات وأول ما بدأت اللعب مسكتها من قفاها وحلفت إنى هلبِّسْهَا قضية لو ما إعترفتش بكل حاجة , طبعًا الصنف ده بيخاف وبيقر من أول ألم , حكتلى على موضوع هشام وعلى خطة نهلة إنها

تطيرنى من الشركة ووعدها ليها إنها تحطها مكانى والحجة إنى بسرق من تحت لتحت وهى عاوزه تكشفنى قدامك , لكن غرضها الحقيقى من اللى عملته فى هشام هى اعترفت لى بيه لما واجهتها باللى عرفته , وهتستغرب لما تعرف قد ايه كانت ندمانة بجد ع اللى عملته وما كانتش تتمنى له الموت لكن كان كل هدفها تفرق بينه وبين مراته زى ماحصل مع أمها

جلست مرة أخرى من فرط ألمى , شعرت أن مفاصلى لن تتحمل أكثر من هذا , نظرت لعلى بانكسار :

- وهى اللى زى دى لسه بتعرف تحس

جلس على بجوارى وهو يحاول تهدئتى :

- أنا عارف يا شريف ان اللى عملته نهلة مش قليل , بس ما تستغربش لو قولتلك انها مظلومة , نهلة شافت كتير أوى واتربى جواها كره وغِلّ من وهيا صغيرة , كره فضل يكبر فيها لحد ما هيموتها , أنا يمكن ما قدرتش أواجهك بإنى أخوك ولا باللى أختى عملته , بس صدقنى حاولت أحميك على قد ما قدرت

ربتُّ على كتفه :

- أنا عارف ياعلى وبرغم شكى فيك بسبب موضوع الحسابات ده إلا إنى كنت بردو بكدِّب نفسى وعلى فكرة أبونا قبل ما يموت قسم ممتلكاته

كلها وفلوسه بينى أنا وانت وهشام , علشان ما يضيَّعش حقك وهو ميت زى ما ضيعه وهو عايش

تنهد على بارتياح :

- ياااااااااه عالجتلى الإيد اللى كانت بتوجعنى يا شريف

نهضت من مقعدى أَهِمُّ بالخروج محاولًا تمالك أعصابى :

- تستاهل أكتر من كده بكتير يا على , من بكره تيجى الشغل بلاش كسل

- هههههه حاضر يا أخويا ما إنت الكبير بكام شهر بقى ليك حق تحكم وتتحكم

- ربنا يسعدك ياعلى

- ويسعدك يارب يا شريف

- طيب أنا همشى بقى مش عاوز أى حاجة

- طيب خليك قاعد معايا شوية

- مأنا قولتلك العمر لسه قدامنا وهنقعد مع بعض لما نزهق وبعدين أنا رايح للدكتور أشوف حكاية الصداع اللى ما بيروحش ده ايه

- طيب خلى بالك من نفسك يا شريف ; وحاول تسامح نهلة

- حاضر يا على هحاول بس ما أوعدكش

obeikandl.com

قبيله من الشياطين كانت تتراقص أمام عينى , نار أحرقت صدرى حتى شعرت بقرب موتى , فكرت فى كل طرق الانتقام ولكن فى النهاية كان على يقف أمامى ليمنعنى , نهلة من تبقى له من عائلة حُرم منها , لا أريد أن أتسبب له بوجعٍ جديد وأيضًا لا أريد لتلك الحية البقاء أكثر من ذلك , ركبت سيارتى وقد اقترب ظهرى من الإنحناء وصار دبيب همومى يُسْمِعُ المارة من حولى , لم أستطع الرؤية من شدة ألم رأسى فتذكرت أمانى التى تنتظرنى وقررت الذهاب للطبيب واستشارة أمانى فى الخطوة المقبلة .

بعد ساعتين ...

التقيت بأمانى أمام منزل أمى إرضاءً لرغبتها فى الذهاب معى للطبيب

استقللنا السيارة وانطلقنا إلى المستشفى دون أن أتفوه بكلمة حتى نظرت لى أمانى بتعجب:

- مالك يا شريف ساكت ليه كده النهارده , دا أنا قولت انك هتبقى مبسوط ومرتاح ع الآخر وخلاص ما بقاش فيه هموم

ابتسمت فى شرود :

- كل ماهم يتشال يتحط بداله ألف هم

نظرت أمانى وقد زاد اضطرابها:

- مالك يا شريف حصل ايه انت قلقتنى

obeikandl.com

- ولاحاجة

- ولا حاجة ازاى وانت فى الحاله دى

- شويه ترسبات , هو اللى شفته كان قليل

زفرت أمانى فى حزن:

- عندك حق

لم أُرِدْ إخبارها بما حدث الآن ولا بحادثة وفاة هشام حتى لا يتجدد الحزن والضيق فى قلبها مرة أخرى , وعلى الأقل أجد من يساندنى بثبات ..

وصلنا المستشفى وسألنا على الطبيب حتى وصلنا مكتبه , طرقنا الباب ودخلنا فاستقبلنا بابتسامة واسعة :

- أهلًا أهلًا مريضى العزيز عامل ايه دلوقتى

صافحناه وجلسنا على المقعد المقابل لمكتبه :

- والله يا دكتور تعبان جدًا وحاسس انى بتعب أكتر ومفيش أى تحسن

رد الدكتور بتعجب :

- بس نهلة كانت قايلالى انك بقيت كويس

- نهلة !! قالتلك كده امتى ؟

obeikandl.com

تعجب الطبيب واستطرد :

- اتصلت بيك من يومين على تليفون البيت علشان كان فيه دكتور مخ وأعصاب أجنبى جاى مصر يقعد يومين بس فقولت استغل الفرصة وتيجى تخليه يكشف عليك , بس نهلة قالتلى انك بقيت كويس

وضعت يدى على رأسى مصدومًا:

- بس نهلة شايفانى بعانى , ازاى تقولك كده

تعجب الدكتور :

- مش عارف والله يا شريف , أنا فرحت جدًا انك بقيت كويس بالذات لما جازفت ووقفتلك العلاج

قفزت من مقعدى هلعًا :

- وقفتلى العلاج ؟؟؟؟

نظرت أمانى للدكتور مندهشة فهى لا تفهم شيئًا مما يدور :

- بس يادكتور شريف ماشى على العلاج اللى كتبتهوله من بعد موضوع العينة وبيقولى انه ما بيجيبش معاه نتيجة

تعجب الدكتور أكثر :

obeikandi.com

- علاج ايه ؟ أنا قولت لنهلة توقف العلاج كله ونستنى كام يوم كده ونشوف يمكن تتحسن ويكون تضارب العلاج وكترته هى اللى مسببالك الصداع و قلة التركيز

صحت بغضب :

- لما انت موقف العلاج أمال ايه الزفت اللى كنت باخده ده

تعجب الدكتور :

- ما أعرفش , هاتهولى وأنا اشوفلك ايه ده

نظرت فى شرود وتذكرت ذاك الحلم الذى رأيت نهلة فيه تأخد ورقة من الممرضة ووقتها أخبرتنى أنها تعليمات الطبيب , فاتجهت بنظرى للطبيب متسائلًا بشك :

- طيب انت خليت الممرضة بتاعتك تدى نهلة ورقة تعليمات

- لأ طبعًا , لو كان فيه حاجة محتاج أقولهالك كنت هاجى أقولهالك بنفسى

لم أشعر بجسدى إلا وأنا أندفع خارج المكتب ذاهبًا لتلك الممرضة , جذبتها من ذراعها وأنا أسألها بغضب وصرامة :

- ايه اللى بينك وبين نهلة ؟

ردت الممرضة بفزع :

- فيه إيه يا أستاذ شريف انت ماسكنى كدا ليه

ضغطت يدها بقوة اكثر :

- انطقى وقولى ايه بينك وبينها أحسنلك , لحسن أرتكب جريمة دلوقتى وأودى أهلك فى داهية

اضطربت الممرضة وأزاحت يدى :

- انت لو ما إحترمتش نفسك أنا هطلبلك الأمن

- مش هيلحقوا ييجوا , هكون خنقتك قبل ما يوصلوا , أنا كده كده ميت ما يهمش بقى أموت موتة ربنا ولا بحبل مشنقة

خافت الممرضة أكتر وبدأت بالبكاء :

- طيب ايه مخليك تفتكر ان بينى وبين مدام نهلة حاجة

- شفتكم وانتوا بتتفقوا مع بعض

- شفتنا ازاى يعنى .. ق ق قصدى محصلش

- لأ حصل , بأمارة الحلق اللى وقع منك فى العمليات وانتى بتجرى تجيبى جهاز الصدمات

اتسعت عين الممرضة وتلعثمت :

- الحلق , انت عرفت موضوع الحلق ده إزاى

obeikandl.com

اقتربت منها حتى لمس فمى أذنها وقلت هامسًا :

- أصل أنا مخاااااااوى

اتسعت عين الممرضة ثانية وابتعدت عنى مذعورة , فجذبتها من ذراعها وسألتها بصرامة :

- هتحكيلى اللى حصل ولا أسلط عليكى عفاريتى

حاول دكتور إبراهيم تهدئتى ولكنى ثرت عليه أكثر :

- من فضلك يادكتور سيبنى دلوقتى لحسن أقتلها

بكت الممرضة وجلست على أقرب مقعد ثم أردفت مستسلمة :

- مدام نهلة جتلى وطلبت منى انى اسأل دكتور إبراهيم على مضاد الدوا اللى كنت بتاخده علشان تعرف تنام , وقالتلى إن الدكتور خلاص وقف الأدوية المنومة واللى بتهدى المخ وقال انك خفيت وبقيت كويس وانها عايزه المضاد بتاعه علشان انت بقيت طول الوقت نايم ومش بتقعد معاها خالص, وهيا مكسوفه تطلب من الدكتور الطلب ده فقالتلى أسأله بدالها , روحت لدكتور إبراهيم وسألته على العلاج بتاعك قالى انه نوع مهدئ ومنوم علشان يهدى خلايا مخك ويوقف تشغيلها المستمر اللى هو مش عارف سببه , قولتله طيب هو فيه دوا مفعوله يعكس مفعول الدواء ده , قالى ايوه فيه وقالى إسمه , وقالى إن الدوا ده بيزود نشاط الخلايا للناس اللى عندها خمول وكسل فى خلايا

المخ وتخلى مخهم يشتغل أكتر , كتبت الإسم فى ورقة واديتهولها , بس والله والله هى عرضت عليا فلوس وأنا رفضت آخدها وكنت فاكره انى بعمل لها خدمة , بس لما جيت دلوقتى وشفت الشر فى عينيك حسيت انها عملت فيك حاجة وحشة وخفت أقولك تأذينى , بس أنا مليش ذنب والله

وانهارت الممرضة فى البكاء واضعة كفيها على وجهها , نظرت لى أمانى متسائلة ومندهشة :

- أنا مش فاهمه حاجة يا شريف , نهلة هتعمل كده ليه ؟

اجب عليها مصدومًا :

- علشان يزيد تعبى ومخى ما يبطلش تفكير وما أعرفش أنام ويقل تركيزى وتزيد كل أعراض مرضى ويمكن فى الآخر أتجنن واترمى فى أى مصحة

ردت أمانى مصدومة :

- وايه مصلحتها ؟ وهتحاول تأذيك اصلًا ليه ؟

ابتسمت فى شرود :

- طار قديم

- طار ؟

- حسابات قديمة فى دفاتر ملاها التراب , طلعتلى نهلة من وسطها علشان تنتقم منى

هزت أمانى رأسها غير مستوعبة :

- أنا مش فاهمة أى حاجة يا شريف

- هفهمك كل حاجة بس استنى

تذكرت شيئًا فنظرت للمرضة مجددًا وسألتها :

- انتى ادتيها إسم دوا واحد ولا اتنين

ردت الممرضة :

- واحد بس والله

نظرت باتجاه النافذة فى شرود :

- بس أنا باخد اتنين .....

***

ركضت مسرعًا وأمانى لحقت بى إلى السيارة , حتى أوقفتنى لا هثة :

- فيه ايه يا شريف بتجرى كده ليه , فهمنى ايه اللى بيحصل

أجبتها وأنا أخبط بيدى فوق السيارة :

obeikandl.com

- نهلة أخت على من أمه اتجوزتنى علشان تنتقهم منى لأمها واللى أبويا عمله فيها

وضعت أمانى يدها فوق فمها وهى لا تصدق ما تسمع :

- يانهاااااار اسوووووووود

فتحت السيارة وجلست فوق مقعد القيادة وجلست أمانى بجوارى , أدرت محرك السيارة وانطلقت بسرعة جنونية :

- نهلة بتدينى نوعين علاج , واحد منهم الحبوب اللى قالت عليهم الممرضة والتانى بودرة غريبة عمرى ما شفت علبتها , كانت على طول بتجيبهالى جاهزة محطوطة فى الميه و اشربها , لازم اعرف هى ايه البودرة دى , عندى إحساس إن وراها بلوة جديدة من بلاوى الشيطانه اللى انا متجوزها

دقائق قليلة مرت بطيييييييئة ..

وصلنا المنزل ودخلنا بسرعة قبل أن تصل نهلة من عملها , ركضت أنا وأمانى نفتش عن تلك البودرة الغريبة , تذكرت رؤيتى لنهلة مرة وهى تخرجها من دولاب ملابسها عندما ظنت أنى نائم وشعرت وقتها بمدى صغرى أمام اهتمامها بعلاجى وصحتى .

اتجهت لدولابها , أزحت الملابس قليلًا فوجدت علبة مليئة بتلك البودرة الغريبة , تعجبت وأنا لا أرى أى بيانات على تلك العلبة ولا حتى اسم الدواء , وإنما هى علبة صماء .

ناديت أمانى , وأخذت تلك العلبة واتجهت لصديقى مصطفى صاحب معمل التحاليل الموكل باختبار عينات الأدويه المستوردة, أعطيته تلك العلبة وأخبرته أننى وجدتها ضمن شحنة أدويه استوردتها من الخارج وأريد تحليل مفصل لها وبأسرع وقت ممكن .

انتظرناه فى الخارج وفى قلبى تتطاير شظايا الإنفجار المرتقب , ساد صمت طويل حتى جاء صديقى يحمل فى يده ورقة النتيجة وتبدو عليه علامات الإندهاش :

- غريبة يا شريف أنا مش عارف المادة دى كانت ضمن أدويتك ليه

هنا سقط قلبى فى قدمى وشعرت بقرب موتى لا محالة , فسألته وأنا أرتجف :

- هيا ايه المادة دى يا مصطفى ؟

رد صديقى ومازال مندهشًا :

E 621-

حركت رأسى ولم أفهم شيئًا :

- يعنى ايه ؟؟

استطرد مصطفى شارحًا :

- دى غلوتامات أحادية الصوديوم ودى مادة بتستخدم بكمية قليلة فى صنع المواد الحافظة اللى بتبقى موجودة فى الاكل المحفوظ و المعلبات والنكهات الصناعية فى بعض المنتجات و الأطعمة المختلفة , والدراسات أثبتت إنها مادة خطيرة جدًا ..

- خطيرة ازاى ؟

ألقى مصطفى عبوة ناسفة أخرى :

- الباحثين لقوا إن الإستعمال المتكرر للمادة دى بيعمل تسمم للمخ على المدى البعيد

فجأة صَمَتَ كل ما حولى لا أسمع إلا دقات قلبى وصوت أنفاسى , ظننت فى البداية أن قلبى توقف لولا شعورى بيدٍ تهزنى فى كتفى , استفقت من صدمتى فوجدت أمانى تسألى مرعوبة :

- شريف ..... انت سامعنى , انت كويس؟

أجبت فى شرود وصدمة :

- كويس

اضطرب صديقى وسألنى :

- فيه ايه يا شريف

أجبت بنفس الشرود :

- ولا حاجة , كمل

استطرد مصطفى بقلق :

- المادة دى على المدى البعيد وبكمية كبيرة بتعمل تسمم فى المخ , لكن استخدامها بكمية قليلة بصفة مستمرة بيعمل فقد تركيز , زهايمر مبكر , صداع مزمن , دوخة مستمرة , اضطرابات عصبية , مشاكل فى الغدد والإنجاب , واضطراب فى جميع أجهزه الجسم وممكن كمان تسبب اورام وسرطانات , وعلشان كده دلوقتى بيحذروا من استخدامها ولو بأقل القليل فى حفظ المنتجات

اتسعت عينا أمانى وجلست على المقعد من الصدمة وشعرت أنا كأن أطرافى شُلَّت تمامًا ولم أشعر بنفسى وأنا أصرخ :

- يابنت الكلــب

سأل مصطفى وهو لا يدرى ماذا يحدث :

- فيه ايه يا شريف فهمنى

صرخت بانهيار :

-أنا كنت باخد المادة دى يامصطفى

ظهر الذعر على وجه مصطفى :

- بتاخدها ازاى يعنى

ضحكت بجنون :

- تخيل إن مراتى كانت بتدوبهالى فى مية وتسقيهالى على إنها علاج , كانت بتموتنى بالبطىء , كانت بتشوفنى وأنا بتعذب وما صعبتش عليها

انهرت فى البكاء , لا أدرى هل صعبت علىَّ نفسى المسكينة أم أننى ..... أحببتها ؟

تسائل مصطفى بتعجب :

- طيب وهى تعمل كده ليه

- علشان إنسانة مريضة عايزه تنتقم منى فى حاجة مليش ذنب فيها , بس ورحمة أبويا لأدفعها تمن العذاب اللى عيِّشِتْنِى فيه ده غالى أوى

قفزت أمانى من مقعدها واتجهت نحوى تهدئنى :

- متوديش نفسك فى داهية يا شريف علشان واحدة زى دى , احنا نبلغ عنها ونطلب شهادة الدكتور إبراهيم والدكتور مصطفى وناخد عينة من البودرة دى والعلبة اللى عليها بصماتها وأكيد هتتسجن

نظرت لها فى تحدى:

- لما اسقيها من نفس الكاس الأول

تسائلت أمانى فى دهشة :

- يعنى ايه

أجبت وأنا أنصرف :

- هتشوفى ...

لحقت بى أمانى وشكرت مصطفى الذى نسيت شكره فى خِضَمّ تفكيرى واستقللنا السيارة :

- انت رايح فين يا شريف

- الشهر العقارى

-الشهر العقارى ؟؟؟؟ تعمل ايه هناك؟

- هعمل توكيل لنهلة

- انت اتجننت يا شريف

- لا ما إتجننتش أنا هعملها اللى هى عاوزاه

- طيب فهمنى هتعمل ايه ؟

***

obeikandl.com

أمام الشهر العقارى ..

جلست باتجاه أمانى شارحًا لها ما إنتويت فعله :

- اسمعى يا أمانى , أنا هعمل لنهلة توكيل النهارده وعلى بالليل هقولها بحكاية التوكيل دى وكأنى بعتذر لها عن رجوع " على " الشركة مرة تانية , وهقولها إنى تعبت أكتر وعاوز أرتاح يومين وعلشان أثبت لها حسن نيتى هخليها تمضى عقود الشراكة بيننا وبين الشركة اللى هى اقترحتها , علشان أوضحلها قد أيه أنا بثق فيها, وبعد ما أتأكد إنها مضت العقود عن طريق " على" طبعًا اللى هيتابع كل حاجة من الكواليس , هروح على الشهر العقارى والغى التوكيل , بحيث لو حبّت تبيع لنفسها حاجة يكون التوكيل ملغى

استطردت وأنا أنظر للأمام والشر يتطاير من عينى :

- ولما تمضى العقد هكون اتصلت بالبوليس وحكيت لهم كل حاجة وفهّمْتُهُم إنها استغلت التوكيل وراحت تستورد أدوية فاسدة ومركبات كيميائية بتسبب سرطانات , وطبعًا البوليس هيقبض عليها وعلى الشركة اللى اتعاقدت معاها , و بعد ما يلاقوا فى شنطتها علبة البودرة اللى كانت بتدينى منها هيتأكدوا من كلامى , وبعد ما أطمن إن الأمور كلها مشيت زى ما خططت هطلب شهادة الدكاترة

ضاقت حدقتا عينى وضغطت على أسنانى قائلًا :

- وهرفع عليها قضية شروع فى قتل , وتبقى تقابلنى لو طلعت منها , ورحمة أبويا ما هسيبها إلا لما تحصل أمها

- طيب اهدى يا شريف وفكر فى اللى بتقوله دى مش حاجة سهلة دى حياة بنى آدمه

- وأنا يا أمانى , ما فكرتيش ليه فى اللى بتعمله فيَّا , لآخر لحظة كانت بتسقينى السم علشان تخلص منى وتنتقم , هو أنا كنت عملت لها ايه علشان تعمل فيَّا كده , أهو على الأقل أنا عارف هى عملت فيَّا ايه كويس

أسندت أمانى رأسها للوراء فى أسى :

- حاسه إنى فى فيلم مكتوب بعناية متحدد فيه أدوار الممثلين كويس أوى , مستحيل ده يكون واقع بنعيشه ..

نظرت لأمانى فى حزن :

- يا ريته كان فيلم , كنا هنطفى التليفزيون ونروح ننام فى حضن اللى بنحبهم , لكن دى حقيقة أفظع من إننا نقدر فى يوم ننساها

- وليه بيحصل لنا كده , هو إحنا وحشين

- لأ مش وحشين بس كان قدرنا نقابل ناس وحشين

- طيب واحنا إيه ذنبنا

- ذنبنا إننا عايشين فى زمن الحلو فيه ..... بسبوسة

ضحكت أمانى رغم حزنها :

- حتى وانت فى الظروف دى بتنكت

أجبت بسخرية :

- واحد عارف انه ممكن يجيله أورام وسرطانات وتسمم فى المخ وفى الآخر يموت , متوقعة منه إيه غير إنه ينكت علشان ما يموتش مقهور

ربتت أمانى على كتفى مواسية :

- هتتعالج وهيقدروا يطلَّعُوا السم ده من جسمك وإن شاء الله تيجى على شوية التعب اللى فات ومش هيطلع فيه حاجة أكتر من كده

نظرت للسماء مبتهلًا :

- يارب يا أمانى ... يارب

فتحت باب السيارة وأشرت لأمانى بالبقاء فيها حتى أنهى ما خططت له بعناية ....

***

السادسة مساءً ..

فى مقهى فيروز ..

لم أستطع مواجهة على بما فعلته بأخته فاتصلت به وأخبرته بكل مافعلته بى نهلة , وأخبرته ما انتويت عمله وبدأته بالفعل ..

لم يعترض على قرارى بعد معرفته بمدى انتقام نهلة القذر, ولم ينطق إلا بجملة واحدة :

- انت اللى اتوجعت يا شريف والموجوع هو بس اللى يقرر يعمل ايه مع اللى وجعه....

أغلقت الهاتف وأنا أعلم بمدى حزن على ولكنه على الأقل يعلم وجعى وسيُقَدِّر موقفى ..

أجريت اتصالًا آخر بنهلة أكمل به باقى خطتى ..

- ألو , ازيك يا حبيبتى

- ازيك إنت يا حبيبى عامل ايه

- تمام جدًا

- انت فين ؟

- عند واحد صاحبى

obeikandi.com

- ولسه هتتأخر ؟

- والله يا نهلة شكلى هبات عنده النهارده

- ليه كده ؟

- حاسس إنى تعبان ومش هقدر أسوق وهو ماسك فيا أوى إنى أبات معاه

- اوك يا حبيبى

- على فكرة يا نهلة

- ايه

- أنا عملتلك توكيل عام زى ما كان نفسك

- بجد؟!!

- هيا دى حاجة ينفع الهزار فيها

- ؟؟؟ غريبة أوى , بس انت كنت رافض الموضوع ده , ايه اللى خلاك تعمله فجأة

- حاسس انى تعبان ومحتاج أرتاح يومين , ماما كانت طالبة منى من فترة إنى اخدها تزور قرايبها , فاحتمال أخدها بكره ونقعد عندهم يومين وطبعًا مش معنى إنى رجَّعت " على " يبقى أثق فيه وأسلمه رقبتى

, فقولت أعملك التوكيل تديرى بيه الشركة على ما أرجع , وكمان أنا اتصلت بشركة الأدوية اللى كنتى اقترحتها وحددت معاهم ميعاد بكره نمضى العقود , فياريت تخلصى الموضوع ده لو أنا ما جيتش .

تلعثمت نهلة واستطردت :

- ما انت قولت اننا مش مستعجلين ايه اللى خلاك تكلمهم

- المفروض انك تفرحى مش تزعلى

- م م ما أنا فرحانة

- هتصل بيكى بكره بعد الضهر أتأكد انك مضيتى العقود , على فكرة هتوحشينى

- وانت كمان هتوحشنى أوى يا حبيبى , بجد ميرسى

أغلقت الهاتف للمرة الثانية بعد أن أحبكت خطتى حين حضر إيهاب مضطربًا :

- ايه يا شريف الكلام اللى قولتهولى فى التليفون ده

أشرت له بالجلوس:

- طيب أقعد أقعد

جلس إيهاب بجانبى وقد كسا وجهه الإصفرار :

obeikandi.com

- طمنى يا شريف الله يرضى عنك الكلام اللى حكيتهولى ده حقيقة

ابتسمت ساخرًا :

- تفتكر هكدب فى حاجة زى دى

خبط إيهاب على رأسه مصدومًا :

- يادين النبى , دى حكاية ولا فى الحواديت , معقول تكون حقيقة

- كل حاجة فى الدنيا دى معقولة

- ولسه ناوى تكمل اللى بدأته

- لازم

- بس دى نهلة يا شريف

- ماهى علشان نهلة هعمل فيها كده

- انت بتحبها ؟

- كنت

- متأكد؟

- مش هنكر انى لسه بحبها , أنا كنت ما صدقت إنى حبيتها بجد , وكان ممكن أغفرلها اللى عملته فيّا لو كانت وَقَفِتُه بعد ما حست بحبى

obeikandi.com

واهتمامى , لكنت كانت مُصِرَّه إنها تكمل فى اللى بدأته , مالهاش حاجة تغفر لها عندى

- وكان رد فعلها إيه لما عرفت بحكاية التوكيل

- طبعًا فرحت حتى لو كانت بتحاول ما تبينش , لكن بعد ما قولتلها على حكاية التعاقد مع الشركة القذرة اللى جابتها لينا زعلت طبعًا , لأنها خلاص طالما طالت التوكيل فهى هتبيع لنفسها كل حاجة وهتلغى خطتها التانية انها تسجننى وتقفل الشركة , لكن بما إنى عارف مخ نهلة الوسخ فأنا متأكد إنها قالت أنا كده كده هاخد الشركة ومش هتضر بحاجة عملية مشبوهة كده فى الأول نكسب منها وبعد كده نمشى عدل أحسن نتكشف

- ومفيش أمل تسامحها

- أمل ماتت يا إيهاب , فاكر لما قولتلك جوازة تفوت ومحدش يموت

- فاكر

- أهو أنا كنت هموت بقى ياعم إيهاب , تفتكر أسامح فى الموت

نَكَّسَ إيهاب رأسه ولم يُجِبْ فهو يعلم أنى على حق .

قضيت ليلتى فى منزل إيهاب وفى الصباح عدت للجلوس على ذاك المقهى حتى اتصل بى على وأخبرنى أن نهلة انتهت لتوها من توقيع العقود , ذهبت للشهر العقارى وألغيت التوكيل واتجهت للشرطة ..

وفى المساء كنت أقضى ليلتى مع زوجتى الفاتنة فى قسم الشرطة ..

لأول مرة منذ زواجى بها يتحدث كلانا بصدق ..

نظرت لى نهلة بغيظ عندما رأتنى أدخل غرفة التحقيق التى تم احتجازها بها إلى أن يتم عرضها على النيابة فى اليوم التالى ..

- انت تعمل فيا كده يا شريف , دا أنا مراتك يا واطى

ابتسمت وأنا أجلس واضعًا قدمًا فوق الأخرى :

- إذا كنت أنا واطي فإنتى حقيرة , إطلعى بقى من الدور اللى بتمثليه بقالك سنتين ده وخلى عندك شجاعة مرة واحدة فى حياتك وواجهينى , ولا انتى فاكرانى لسه ما إكتشفتش لعبتك الوسخة اللى عملتيها فيَّا

نظرت لى نهلة بعينان انفجرت فيهما أكياس دماء :

- تستاهل كل اللى عملته فيك انت واخوك ولو بإيدى كنت طلَّعت جتة أبوك وقطَّعتَهَا بأسنانى علشان يدفع تمن اللى عمله معايا أنا وأمى وأخويا

نهضت وأمسكت يدها بقوة :

- فوقى بقى من الفيلم اللى انتى عايشه فيه ده , إنتى انسانة فاشلة فشلتى فى تعليمك واشتغلتى فى الشركة النجسة اللى جبتيها تتعاقد معايا واللى قولتى عليها معارف أبوكى وهناك عرفتى المكونات اللى

بتسبب أمراض بالهبل ومع ذلك كنتوا بتستخدموها فى تصنيع الأدوية من غير ما يبقى عندكم ذرة دين ولا ضمير يأنبكم ع اللى بتعملوه فى الناس , ولما شفتى عمايل أبوكى اللى ما تفرقش عن عمايلك كتير قولتى إن أبويا هو السبب , مع إنى ما أعرفش إزاى أبويا السبب فى دنائة أمك وجريانها ورا الجيب الدفيان, ولما أمك حبت تلعب على أبويا واترمت فى السجن لحد ما ماتت , كبر جواكى الغلّ والكُره والإنتقام وبدل ما تنتقمى من أبوكى اللى عذّبْكُم جيتى عاوزه تنتقمى من أبويا اللى مات بسبب إحساسه بالذنب تجاهك , بس للأسف على ما جيتى كان مات فقررتى تنتقمى من أولاده , واستخدمتى أساليبك القذرة علشان تشتغلى فى الشركة اللى انتى فيها وتظهرى قدامى بمظهر بنت الناس وارضى اتجوزك , وبعد كده قررتى إنك تكملى انتقامك بأبشع صورة ولما لقيتى إن " على" عرفك وهيكتشف قذارتك قولتى تزيحيه من قدامك , مع إنه قالك إنه ما إتظلمش وأمك قالتلك إن أبويا حتى بعد طلاقهم عاملها بما يرضى الله , بس الفشلة أمثالك دايمًا يدوروا ع الشماعة اللى يعلقوا عليها فشلهم , وبعد ما إنتقمتى من هشام المسكين ومراته جه الدور عليًّا علشان تكملى انتقامك من بنى آدم ما عملش فيكى أى حاجة , وعمومًا انتى كده كده لبساها , من ناحية استيراد أدوية فاسدة ومن الناحية التانية شروع فى قتل , وابقى وريني هتكملى انتقامك إزاى

- بس أنا ما كنتش ناوية أكمل

صرخت :

- كدابة , انتى لآخر لحظة كنتى عايزه تكملى , لآخر ليلة نمنا فيها جنب بعض سقيتينى السم علشان قولتلك طلِّعى نفسك برا الشركة , انتى لو كان جواكى ذرة تراجع عن اللى فى دماغك كنتى رفضتى التوكيل مش ريقك يجرى زى الكلبة اللى اترمى لها عضمة , إنتى الغدر فى دمك أساس

إنهارت نهلة فى البكاء و جلست على أقرب مقعد وقالت باستعطاف:

- بس أنا حبيتك بجد

ابتسمت بتهكم :

- لعبة جديدة دى ولا دور ناوية تاخديه فى مسلسل

نظرت لى نهلة باستعطاف :

- والله العظيم بحبك

صمتُّ فاستطردت :

- انت ما شوفتش نفسك كنت بتعاملنى إزاى , من يوم ما إتجوزتك وانت بتحاسبنى على غلطة ما عملتهاش , بتعاقبنى إنك ما حبتنيش , عايش مع أطلال قصة حبك القديمة , مش هكدب عليك وأقولك اتجوزتك علشان بحبك ولا هقولك بعد ما إتجوزتك حبيتك , لكن هقولك إنى حبيتك بعد ما إعتبرتنى مراتك بجد , إعتبرتنى حبيبتك ,

obeikandl.com

عاملتنى على إنى إنسانة بحس وليا مشاعر مش حاجة خدتها غصب عنك , حبيتك لما حبتنى يا شريف

أمسكت بذراعيها وواجهتها :

- أنا يمكن أكون ما حبتكيش وما إدتكيش حقك كزوجة بس ما قتلتكيش , ما نمتش فى حضنك وأنا بدبحك بسكينة تلمه , ما سقتكيش السم بإيدى وعليه نقطة عسل , ما إستمتعتش بعذابك ونزلت دمعة كدابة أضحك بيها عليكى , انتى خاينة وحقيرة وما تستاهليش حتى يتزعل عليكى

أمسكت بيدى مستعطفة :

- طيب سامحنى المرة دى

نظرت لها بحرقة :

- أسامحك على ايه بالظبط ؟ على انك سبب فى موت أخويا ؟ ولا أسامحك على إنك بردو سبب فى موت أبويا ؟ ولا أسامحك انك كنتى هتكونى سبب فى موتى ؟ ولا يمكن أسامحك على العذاب اللى شفته أشكال والوان ؟ هو ايه بالظبط اللى ينفع يتسامح عليه ؟

استطردت ومازالت منهارة فى بكائها :

- طيب ما إنت كمان كداب , قولتلى انك بتحبنى

أجبتها بتألم :

- أنا فعلًا حبيتك , ودلوقتى كرهت نفسى علشان حبيتك , أنا حبيت صورة الزوجة الطيبة الصبورة اللى صبرت عليا واستحملت قرفى وتعبى , مش الزوجة اللى كانت سبب فى عذابى , يعنى من الآخر حبيت الدور اللى مثلتيه ومستعد أديكى عليه جايزة كمان , لكن انتى شخصيًا بقرف من نفسى لما افتكر إنى لمستك .

استطردت وأنا أتجه نحو الباب :

- انتى طالق يا نهلة وكل اللى هقدر أعمله علشان أسجنك ..... هعمله وأنا ضميرى مرتاح .....

***

فى منزل الدكتورة تيسير...

طرقت الباب , ففتحت لى الدكتورة وعلى وجهها علامات التعجب والدهشة :

- شريف ؟؟ ... فيه حاجة حصلت تانى ولا إيه ؟

أجبتها بهدوء :

- طيب مش هتقوليلى ادخل

إنزاحت جانبًا وأشارت بيدها للدخول :

obeikandl.com

- اه طبعًا اتفضل

جلست الدكتورة على مقعد الصالون وظللت أنا واقفًا :

- قولى بقى ايه اللى حصل تانى ؟

أسندت ظهرى ورأسى للحائط مبتسمًا :

- ما حصلش حاجة

تسائلت الدكتورة بفضول وكانها تريد أن تضيف الفصل الأخير من ذاك المسلسل الغامض :

- يعنى ايه ما حصلش حاجة ؟ انت آخر حاجة قولتهالى لما اتصلت بيا وحكيتلى الجزء الغامض اللى ما كناش فاهمينه وقولتلى على خطتك اللى نويت تعملها فى نهلة

- بالظبط

- طيب وبعدين؟ حصل حاجة تانى ؟

- حصل كل خير

نظرت لى الدكتورة بترقب :

- إزاى ؟

ابتسمت وأنا أستقيم فى وقفتى وأتمشى ذهابًا وإيابًا :

obeikandl.com

- واحد : رجَّعْت لـ على حقه فى ميراث أبوه ورجَّعته شغله تانى وخليته النائب بتاعى وليه كل صلاحيات رئيس مجلس الإدارة

- اتنين : نفذت خطتى اللى دبرتها لنهلة والشرطة قبضت عليها هى والشركة الفاسدة وصادرت الأدوية اللى كانت جايه على حس العقد , ومع شهادة الدكاتره والأوراق اللى تثبت إنها كانت بتحاول تقتلنى , ما أعتقدش إن فرصتها فى إنها تشوف الدنيا من تانى موجوده أصلًا , والحمد لله "على" قَدَّر موقفى وساعدنى أوقف شرها .

- تلاته : أمانى أخيرًا ارتاحت من العذاب اللى كانت عايشه فيه بقالها سنة واتأكدت إن هشام ما خانهاش , ورجعت القاهرة تانى ونقلت شغلها وراحت تعيش هى ويوسف فى شقتها القديمة

كل حاجة ماشيه تمام , هشام ما بقاش يجيلى تانى وأبويا شكله إرتاح فى العالم بتاعه وأمى طلَّعِت اللى فى قلبها وارتاحت

تعجبت الدكتورة وسألتنى بدهشة :

- امال جايلى تانى ليه ؟

أجبتها ببطء وأنا أقرب وجهى منها هامسًا :

- عايز أرجع أنزل البير

رفعت حاجبيها متعجبة :

- بير إيه ؟

اتجهت نحو باب الغرفة المغلقة وفتحتها وأنا أنظر للدكتورة بابتسامة غامضة :

بير الأرواح .

تمت .

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر خاص

الأب الروحى الاستاذ / حسام حسين

الاستاذ / خالد رمضان

الكاتب / ابراهيم السيد

الكاتبه / شيماء زايد

الاستاذه / امنيه مجدى

الاستاذ / محمد رمضان نور الدين

الاستاذه / الاء محسن

الاستاذ / مراد محمد

الاستاذ / عمر سعيد

obeikandl.com

الكاتبة فى سطور

نهى مجدى وهبه

- مواليد محافظة المنوفية

- مؤلفة كتاب " حظر إرادة " الصادر عن دار ليليت للنشر والتوزيع لعام 2014

- كاتبة صحفية لها العديد من المقالات فى الصحف المختلفة (اليوم السابع - روزا اليوسف - الأهرام - الوفد - جريده world news البريطانية - جريدة المصريون - بوابة فيتو - جريدة الأسبوع - جريدة كل شىء - news جريدة النبأ - وكالة أنباء القاهرة الآن - جريدة حب مصر - جريدة دنيا الرأى – جريدة موطنى نيوز - جريدة شباب مصر وغيرها من الجرائد المحلية

- تم تكريمها ضمن أفضل الشخصيات الناجحة لعام 2014
- قامت بالعمل فى العديد من المجلات الإلكترونية من حيث النشر والإدارة

- قامت بالعمل فى بعض الإذاعات الإلكترونية الشبابية

للتواصل مع الكاتبة :

https://www.facebook.com/fajr.alnhda

obeikandl.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikandl.com